

الجواب ما ترى وما تسمع...

بقلم: عبد القادر الهاني

واحتفلنا...

أجل احتفلنا في مدينة سليانة الجميلة بالعيد الفضي لمجلة الإتحاف الجلية وجلالها استمدته من مجهودها الثقافي الشامل والموصول الذي تواصل خمسة وعشرين عاما دون انقطاع، وشمل الإتحاف مجلة للكبار ونشرية قطاف الإتحاف للأطفال والملتقى السنوي لاجباء الإتحاف ومنتدى الإتحاف للحوار والمؤانسة. إنه الإحتفال الذي أكد أن الإتحاف تحظى بتأييد واسع من القراء والمثقفين والإعلاميين الذين قدموا من عديد المدن القرية والبعيدة، شيوخا أجلاء وكهولا أكفاء وشبابا متحمسين لمزيد البذل والعطاء. واستمعنا...

الى كلمة تقويمية أبانت أن للإتحاف دورا في بناء الثقافة التونسية، دورا قد نحتته لنفسها بما كان لها من عزم وحزم ومثابرة أثمرت 203 سفرا من الإتحاف و 156 من قطاف الإتحاف وثلاثة وعشرين ملتقى سنوي تناول بالدرس والتحليل قضايا أدبية وحضارية وتاريخية، وعشرات من مجالس الحوار والمؤانسة ولجميعها

دور في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية في الجهة على وجه الخصوص.

وتحاورنا...

بالمناسبة جرى حوار صريح تناول بالنقد الفصيح ما للاتحاف وما عليها. وهو كثير ينبغي دعمه، وما عليها وهو قليل ينبغي تلافيه، جرى هذا في سليانة يوم الفرح. وتواصل على أمواج الاذاعة الوطنية في برنامج المنتدى الذي يديره المنشط القدير والاعلامي اللبق علي ابراهيم وفي الموعدين تم التعرض إلى إشكاليات عديدة تعيشها الاتحاف وبرزت تساؤلات على قد كبير من الواجهة نعتقد أن الاجابة عليها ماثلة في العديدين الجديدين في ما ترى بين يديك: الاتحاف وقطاف الاتحاف لشهر أبريل الجاري وفيها من الدلالات ما يفيد أن التحسين ممكن وأن التماذي فيه وارد وفيما تسمع من أنباء عن استئناف نشاط منتدى الاتحاف للحوار والمؤانسة نشاطه مع الاستاذ محمد المي خلال شهر افريل ومع الادبية فوزية العلوي خلال شهر ماي ومع الأستاذ الباحث محمد الرزقي أول شهر جوان والبقية تأتي... ومن قديم قيل : أول الغيث قطر ثم ينهمر.

دور الإتحاف

في بناء الثقافة التونسية

محاضرة: الدكتور نورالدين بن بلقاسم

بين الإتحاف والمجلات الجهوية.

كان من عادة المجلات الجهوية أن لا يطول عمرها في الزمان لأسباب معروفة لدى الجميع ومنها :

- قلة الإمكانيات المادية

- وعدم وجود المساندة

- وتوفر المناوئين من الذين لا يعملون ويسوءهم أن يعمل الآخرون

حسب تعبير طه حسين <http://Archivebeta.Sakhr.it>

- عدم تواصل فورة الحماس الأولى لدى المنشئين لمثل هذه المجلات، مما يؤول بهم إلى الشعور بعدم جدوى المشروع، وبالتالي الإحساس بعيشة تواصله.

ولا شك أن مجلة "الإتحاف" قد لاقت مثل هذه العقبات ولكنها برغم ذلك خالفت مثيلاتها من المجلات الجهوية فامتد عمرها في الزمان من 1 جويلية 1985 إلى هذا التاريخ من سنتها الخامسة والعشرين، فصدر منها في هذا الحيز الزماني المقدّر بربع قرن تقريبا مائتان وثلاثة من الأعداد، كانت كلّها من بدايتها حافلة بالبحوث والمقالات والإبداعات الشعرية والقصصية، فارتقت الإتحاف بصمودها وإصرارها

على التواصل إلى مترلة رائدة بين المجالات الجهوية.

من أهداف الإتحاف :

والواقع أن "الإتحاف" ما كان لها أن تبرز من حيز التصوّر إلى حيز الوجود لولا التفاف مجموعة من الأنصار حولها من أهل الجهة، وهم من الذين دفعتهم نفس الدوافع التي أوعزت إلى مؤسسها الأستاذ عبد القادر الهاني بإنشائها، هذه الدوافع هي التي نتبينها في افتتاحية العدد الأول من مجلة "الإتحاف".

رسمت المجلة لنفسها منذ البداية أهدافا ظلت وفيّة لها إلى اليوم، وهذه الأهداف كما وردت في الافتتاحية المذكورة هي:

أولاً: "الحث على البحث والإتحاف"
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
ثانياً: "دفع ذوي المواهب الكامنة إلى تفجير طاقاتهم وإبراز مواهبهم، حيث تتاح لهم فرص تحدّد المحاولات التي هي أساس ظهور تلك الطاقات في شكل إبداعات"

ثالثاً: "الأخذ بيد الأدباء الشبان وإتاحة الفرصة لهم كي يمارسوا نشر محاولاتهم بقصد إنضاج تجاربهم واكتمال مؤهلاتهم وتبلور كفاءاتهم.

رابعاً: "إحياء التراث الحضاري والتاريخي بالجهة، وحفظ المهمّ منه بقدر الإمكان، رغبة في إتاحة الفرصة للأجيال المتعاقبة لمعرفة أمجادها"، حتى تستلهم تلك الأجيال مثلهم العليا المندسة في أنماط حياتهم وبطلانهم وخصائصهم.

حامسا: تحذير الفعل الثقافي في الجهة تحذيرا يجعله عادة مستحكمة لدى القائمين به، بحيث " لا يحمد أوارها".

نلاحظ من خلال هذه الأهداف المرسومة منذ البداية مدى الصّوح الذي حفز أسرة المجلة منذ البداية، ومدى ما تكتسبه هذه الأهداف من نبل القصد وشرف المسعى وحبّ الإيثار والتّضحية، فكيف استطاعت هذه المجلة أن تحقق أهدافها؟

الإتحاف وتحقيق الأهداف:

بدأت المجلة عند انطلاقها وخلال أعدادها العشرين الأولى تقريبا غير مستقرّة من حيث تنظيم موادها، ولكنها فيما لحق من الأعداد وبحكم الممارسة المستمرة لثنائية الخطأ والصواب - انتضت موادها - في الغالب - في أبواب قارة ثلثت فيما يلي:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- حضارة وفكر

- أدب وفنون

- إبداعات

- متابعات

وقد أخذت المجلة بعين الاعتبار - في خصوص تطورها ورسم مسارها وانتظام صدورها - مقترحات قرائها وتوجيهات محبيها، فاستقرت بفضل تلك التوجيهات أبوابها، وأثري محتواها، وتطور حجمها من 43 صفحة في بدايتها إلى 104 من الصفحات حاليا، كما تطوّرت مواعيد صدورها من 4 مرّات في السنة ثمّ إلى 5 مرّات ثمّ إلى

عشر مرّات حاليا باستثناء شهري جويلية وأوت وهما العطلة الرسميّة للمجلّة سنويّا.

وقد التزمت المجلّة منذ 1985 إلى سنة 2008 بالعربية لغة لتواصلها مع قرائها، ومن سنة 2008 أدرجت الفرنسية لغة ثانية للتواصل بينها وبين جمهورها.

من مضامين مجلّة "الإتحاف" :

ولمعرفة مدى إسهام "الإتحاف" من الناحية العملية في تطوير الحياة الثقافية بجهة سليانة أولا وبالوطن ثانيا، قمت بعملية إحصاء تقرّيبية لثلاثة أنواع من الإنتاج هي السائدة في مختلف أعدادها، هذه الأنواع هي المتمثلة في: البحث، والشعر، والقصة.

واعتمدت في هذا الإحصاء التقريبي على فهرس المجلّة التي أرسلها إليّ بالبريد أخونا وصديقنا الأستاذ عبد القادر الهاني، وكان التركيز الإحصائي على الأنواع المذكورة يعود لسببين اثنين:

أولهما: أنّ هذه الأنواع الثلاثة هي الغالبة على أعداد المجلّة عموما، وأقول عموما لأن هناك بعض أعداد من المجلّة لا يوجد فيها شعر، وبعض أعداد منها لا يوجد فيها قصّة، أن هناك عناوين لم يشر إلى جنس نصوصها هل هي من القصة أم الشعر أم البحث.

وثانيهما: أنّه لا يمكن إحصاء كل ما ورد في مختلف أعداد المجلّة من كتابات لضيق الوقت من ناحية وتعدّد المشاغل من ناحية أخرى.

وقد أسفرت عمليّة الإحصاء على كمّ هائل من النصوص المنتمية إلى

الأنواع الثلاثة المحصاة، وذلك حسبما هو مرسوم في الجدول التالي:

النوع :

- القصة : 350

- الشعر : 943 جملة الأنواع الثلاثة : 2166

- البحث : 873

النسبة المئوية لكل نوع مقارنة مع الأنواع الثلاثة :

القصة : 350 % 2166 * 100 - 16.17 %

الشعر : 943 % 2166 * 100 - 43.53 %

البحث : 873 % 2166 * 100 - 40.30 %

نلاحظ من خلال استقراءنا لهذا الجدول غلبة الكم الشعري لاندراجة في المرتبة الأولى، ويليه في المرتبة الثانية كمّ البحوث، وفي المرتبة الثالثة يأتي الكم القصصي.

وتفوق نسبة الشعر بالنسبة للأنواع الأخرى تؤكد أن امتنا لا تزال أمة شاعرة، وتشير نسبة البحث في رتبته الثانية إلى أن الفكر فيها قد تطوّر برغم استمرار غلبة الشعر عليها.

وإذا افترضنا جدلاً أننا طبعنا هذا الكم الهائل من النصوص المحصاة في الأنواع الثلاثة فإننا نكون قد أضفنا بذلك إلى المكتبة الثقافية الوطنية:

- ثلاثة وعشرين كتاباً في القصة، أي بمعدل خمس عشرة قصة في كل كتاب .

- وواحد وثلاثين ديواناً شعرياً، أي بمعدل ثلاثين قصيدة في كل ديوان.
- وسبعة وثمانين كتاباً في البحث، أي بمعدل عشرة بحوث في كل كتاب.

فيكون بذلك مجموع الكتب المضافة إلى المكتبة الوطنية من هذه النصوص اختصاصاً: مائة وواحد وأربعين كتاباً .

أما لو طبعنا كل النصوص المنشورة على اختلاف أجناسها فلا شك أن هذا العدد المذكور سيناهز الخمس مائة كتاب. هذا عدا الكتب التي نشرتها " دار الإتحاف للنشر " .

ومن هذا الكم الكبير من الكتب نلمس مدى المساهمة العملية لمجلة الإتحاف في تحريك ميادين الحياة الثقافية جهدياً ووطنياً، ونعرف مدى ما بذلته لجان الإشراف المتعاقبة عليها من جهد لاستقطاب أكبر عدد ممكن من المهتمين بالشأن الفكري والثقافي، لا داخل الوطن فحسب، وإنما امتدّ هذا الاستقطاب إلى خارج الوطن، فكان له حضور في البلاد الشقيقة القريبة والبعيدة، والواقع أن ذلك كان بفضل النشاط الحثيث لمؤسس المجلة ومديرها، الذي اتصل بي أكثر من مرة وأنا أعمل في اللجنة الثقافية القومية بوزارة الثقافة إبان الثمانينات ليسأل عن المسالك التي يروج بها مجلته وهي في بداية انطلاقها، فربط مدير "الإتحاف" بأتصالاته المتعددة العلاقات مع الشخصيات النافذة ومع الهيئات والمنظمات الجهوية والوطنية والعربية، ضامناً بذلك لمجلته الرواج والاستمرار والنجاح، ومتحدياً كل الصعوبات والعراقيل التي لاقاها.

– ما ترمز إليه مجلّة الإتحاف :

إنّ إنشاء الأستاذ عبد القادر الهاني لمجلّة الإتحاف وضمّانه لاستمرارها بالجهّد والمال والعمر مع قوى الخير وأنصار البناء والتعمير في هذه الجهة - يطفح بالمعاني الرّفيعّة النبيلة وأعلى هذه المعاني هو معنى "الوطنية".

وقد تسألوني حضرات الاخوة والأخوات: ما علاقة "الوطنية" بإنشاء مجلّة وإدارتها؟ اقول لكم : إنّ الوطنية في معناها النبيل مثل النصّ القرآني لا بدّ ان يفهم في مقاصد ومعانيه الشّاملة حتّى نكون حقاً وطنيين . فالوطنية الحقّ ليست الكلام الذي يؤخذ على عواشه لأغراض مصلحة شخصيّة، إنّما الوطنية الصّحيحة هي الإضافة التي يقوم بها كلّ فرد من أفراد المجموعة الوطنية في مختلف مجالات الحياة كلّ حسب اختصاصه .

فالوطنية إذن هي أن يطع كلّ واحد منّا بحجره في البناء العامّ المشترك : الإقتصادي والتّقافي والحضاري وغيرها...

ومجلّة "الإتحاف" ليست حجراً فقط في بناء الثقافة التونسية، إنّما هي ركيزة من ركائزها، ودعامة قويّة فيها، وهي دليل عمليّ على وطنيّة مؤسّسها ومن التفّ حوله من انصارها.

إنّ الأستاذ عبد القادر الهاني برهن بإيجازه لمشروع "الإتحاف" ورعايته له - برغم تواضع الإمكانيات وتعدّد الصّعوبات - على امتلاكه لصفة قارّة من الصّفات التي انبت بها حضارتنا العربيّة الإسلاميّة وبها قويّت حتى صارت تعلّم العالم وتقوده.

هذه الصّفة تتمثّل في أنّ المشاريع العظيمة لا تعتمد على المال بقدر ما

تعتمد على عزم الرجال.

ومن ثم نفهم سرّ بناء حضارتنا، التي شيّدها رجال بسطاء من ذوي العزم، كانوا لا يملكون جاها ولا سلطانا ولا مالا، كان كلّ ما يملكونه - في أوّل أمرهم - هو : الصبر على المكاره، وتوطين النفس على مغالبة الشدائد، والمثابرة للوصول إلى الهدف المرسوم اعتمادا على العزم والإيمان لا غير...

- "الإتحاف" عنوان الشمال الغربي:

إنّ مجلّة "الإتحاف" أيّها الملاء الكريم هي عنوان عراق، وعنوان أصالة، وعنوان هويّة، وعنوان قيم نبيلة، يختزنها هذا الشمال الغربي الناهض السائر دوما إلى الأمام سيرا مظفرا بفضل رجاله الأشاوس، الذين لم ينهضوا فقط بمعركة الثقافة في عهد تونس الجديدة، وإنّما نهضوا كذلك بالمعارك عبر التاريخ مثل معركة جامة قديما، ومعركة جبل برقو وجبل السرج إبان معركة التحرير.

إنّ هؤلاء الرجال لا يزالون إلى يوم الناس هذا وسيبقون - إن شاء الله - يستحيون باستمرار إلى نداء الفتوة فيهم - تلك الفتوة التي قال بها شاعرنا العربي القديم طرفة بن العبد في معلقته:

إذا القوم قالوا من فتى ؟ خلت أني

عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد

وشكرا لكم على حسن الاستماع .

مجلة الإتحاف:

مغامرة ثقافية وحضارية رائدة

بقلم: الدكتور الأزهر النفطي

"تجسّم تونس اليوم بمكاسبها الحضارية والثقافية القديمة والحديثة جوهر المعادلة التي بادرنّا منذ تحوّل السابع من نوفمبر 1987 بتكريسها في سائر توجهاتنا وخياراتنا. فنحن نعمل على وصل الماضي بالحاضر من خلال الاعتناء بكل ما يميّز هويتنا ويميّز خصوصياتنا ويدفع ببلادنا إلى مواكبة الحداثة والاندماج في مسيرة الحضارة الكونية".

الرئيس زين العابدين بن علي

اليوم الوطني للثقافة

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

القيروان في 25 فيفري 2010

تعتبر مجلة الإتحاف عنوان هويّة ومنهل معرفة ومصدر إشعاع ومنبر بحث وإنتاج بجهة الشمال الغربي عامة ومدينة سليانة على وجه الخصوص التي تحتضنها بحب ووفاء منذ تأسيسها يوم 01 جويلية 1985 إلى يوم الناس هذا فتقدّم لقراءها بذلك أروع دليل على الاستمرار والبذل والعطاء والحماس الفياض بفضل تظافر جهود أصحاب العزائم الصادقة بين كتابها وقراءها وجمهورها الذين أبدوا منذ السنوات الأولى لإصدارها من رباطة الجأش والحماس الفياض والإصرار على المغالبة والإيمان يتجذّر الفعل الثقافي بجهة

الشمال الثقافي وأبرزهم حماسا وإصرارا مديرها ومؤسسها الأستاذ عبد القادر الهاني الذي راهن بمبادرته الرائدة بيعت مجلة الإتحاف



على الفعل الثقافي وعلى استشراف مستقبل الثقافة ببلادنا، فصَحَّ العزم وتحوّل الحلم إلى واقع ملموس مع ثورتنا الإصلاحية النافذة التي نزّلت الثقافة المثزلة الرفيعة الالائقة بها وجعلتها سندا للتغيير والتنمية الشاملة.

العيد الفضيّ لمجلة الإتحاف:



واحتفاء بمرور ربع قرن
على بعث هذه المجلة الثقافية
الجامعة واعترافا بإشعاعها
وطنيا وعربيا وبحضورها

الآفت للنظر على مدى خمسة وعشرين عاما احتضنت مدينة سليانة بحب ووفاء تنظيم أسرة تحرير لندوة عمليّة يوم 27 مارس

2010 تحت إشراف الدكتور نجيب برك الله والي سليانة بالتعاون مع المندوبية الجهوية للثقافة والمحافظة على التراث وفرع اتحاد



الكتاب التونسيين بسليانة، للنظر فيما تقدّمه المجلة من مادة ثقافية لقراءها خلال ربع قرن من إصدارها والتذكير بحداثة وحماس في سبل تطويرها شكلا ومضمونا وطرق توزيعها ومصادر تمويلها من خلال مقترحات عملية في عصر الثورة الاتصالية التي تفرض تحدياتها على



عالمنا المعاصر.

على هذا النحو احتضنت قاعة العروض بالمركب الثقافي أحمد



ابن أبي الضياف بسليانة هذه الندوة العلمية بحضور السلطات
الجهوية والمحلية بالجهة يتقدمهم الدكتور نجيب برك الله والأستاذ
الحبيب الدريدي الكاتب العام للجنة التنسيق التجمع الدستوري
بالجهة ومشاركة نخبة ماهرة من كتّاب المجلة وقرائها ومشجعيها

يتقدمهم إمام النقاد الدكتور
منجي الشملي وضيف
الشرف الأستاذ عامر قريعة
والي سليانة سابقا والأستاذ
الشيخ عبد الستار الهاني.



في هذه الندوة تحدّث
الأستاذ عبد القادر الهاني مدير
مجلة الإتحاف ومؤسّسها عن الصعوبات والعقبات التي وجدتها المجلة

أما الدكتور نجيب برك الله والي سليانة فتحدّث في كلمته



المعبّرة عن المكاسب الجمّة والمنجزات الثقافية والحضارية الرائدة التي تحققت لقطاع الثقافة مع حركة التغيير والإصلاح على مستوى الإشراف والتطبيق ومنها إنجاز مدينة الثقافة والعناية

بالوضعيات الاجتماعية للمبدعين وتخصيص 1.5% من ميزانية الدولة

لدفع عجلة القطاع الثقافي كما دعا المبدعين الشباب بمناسبة السنة العالمية للشباب إلى المساهمة بنشاطهم الثقافي في إثراء محتوى المجلّة

باعتبارها منبرا من منابر تحذير الفعل الثقافي ببلادنا ورافدا من روافد إنعاش الثقافة التونسية.

وطبيعي أن تكون مدوّنة الإتحاف حاضرة بامتياز في عيدها الفضيّ من خلال محاضرة الدكتور نورالدين بن



بلقاسم التي رصد فيها أسباب حضور المجلّة بالمشهد الثقافي سنوات

طويلة دون انقطاع رغم الصعوبات والعقبات التي تكبح جماح كل



مجهود فردي وتتسبب في
التعثر وإعادة النظر ولاحظ
المحاضر أنّ رمزيّة مجلّة الإتحاف
تكمّن أساساً في التزعة الوطنية
ومشروعية الإضافة والبحث
والإنتاج التي تتكامل مع
صدى الخطاب الفكري والبدال

الفني والمعطى السيكلوجي النهج القويم لأسرة تحريرها كما أشار
المحاضر إلى انتظام صدورّها اعتماداً على الجهد اليومي لمديرها
ومؤسّسها خاصة على مستوى التوزيع وكذلك على العلاقات

الإنسانية التي اكتسبتها أسرتها
بالمشهد الثقافي داخل وخارج
حدود الوطن لتسهيل مهمّة
انتشارها ممّا يقتضي أن يساهم
كل منا من موقعه وبالطريقة
التي تنفع الناس وتمكث في
الأرض في بناء مجتمعه.



فإذا نظرنا في محتوى المجلّة ومضامينها فإننا نرصد الحضور

البارز النقد والشعر والسرد بتسجيل 350 قصة و 940 قصيدة الأمر الذي يجعل الفكرة تتطور بلغة الأرقام إلى 87 كتابا في البحث والدراسة و 23 كتابا في السرد و 31 ديوانا في الشعر.

ولتفعيل منطق الحوار بين كتاب المجلة وقرائها وأسرة تحريرها وإثراء ذلك بمقترحات عملية تطور المجلة على مستوى الشكل والمضمون وتساهم في خدمة الأهداف التي بعثت من أجلها من خلال الدعوة إلى مساهمة المؤسسات التربوية بالحرص على توزيعها بالمعاهد الثانوية والجامعات والمعاهد الراجعة بالنظر لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي لدعم سعة انتشارها بين جمهور الطلبة والتلاميذ مع التفكير في تنظيم ملتقى سنوي لأدب الشباب تكون الإتحاف محوره الأساسي

وإحداث جائزة سنوية لتشجيع كتابها. كما وقع اقتراح دعم الدراسات التاريخية بتشريك الباحثين وأهل الاختصاص ودعوتهم إلى إثراء محتوى المجلة بأعمالهم من



خلال مدّها ملخصات لبحوثهم لتشر على صفحاتها وتحوّل إلى وثائق مرجعية تحت جمهور التلاميذ والطلبة على الإقبال عليها

واقترائها.

كما اقترح المشاركون التفكير في إعداد فهرس عام للمجلة يكون القسم الأول منه للمواضيع المقترحة والآخر للكتاب مع النظر في تخصيص ملف بكل عدد من أعدادها تحت عنوان شخصية العدد يتناول مسيرة كاتب من كتاب المجلة وهنا نقترح أن تكون مسيرة الشاعر الراحل محمد العياشي طاع الله أول ملف تنشره الإتحاف في هذا السياق ليعود شاعرها وعضو أسرة تحريرها إلى المجلة وتتصدّر قصائده صفحتها الأولى فتمكن النقاد من تناولها وتغذيتها بفحوصهم الخيرية بالتمحيص والتعليل والتعريف من خلال الاشتغال عليها للبحث عن وحدة الأطر الذي تركه الراحل من حيث هو شيء متماسك يكون كيانا معروفا يسمى قصيدة فيتولد عن ذلك النقد المنهجي الذي دعا المشاركون إلى اعتماده مستقبلا بمجلة الإتحاف لمعرفة النصوص إضافة إلى حث الجميع على تطوير قطاف الإتحاف ومدوّنتها بخصوص الجانب النقدي وإثرائه باعتباره



مدوّنة موجهة للأطفال.

واعتباراً لحيوية التفاعل مع المعرفة عبر شبكة الأنترنت التي غيّرت



مفهوم الزمان والمكان بالنشر عبر أوعية مختلفة اقترح المشاركون تفعيل الموقع الرقمي للمجلة بالاعتماد على شبكة الأنترنت لتوزيعها فالعنصر البشري ينتج المعرفة والوسيط الفعلي هو مكتبات رقمية أو تقييمية.

ولتسويق المجلة على نطاق واسع وجعلها تقتحم عالم المنافسة

الشرسة التي تفرض سيادتها على عالمنا المعاصر دعا المشاركون إلى

الانتباه للأخطاء التي تلقي بظلالها

على صفحات المجلة وإعادة النظر

في الإخراج لإضفاء جمالية على

شكلها فالمنطوق اللغوي والحسي

البصري تحولا معا إلى قطبين

متلازمين في عالم الكتب

والمجلات.

هكذا تبقى مجلة الإتحاف

منارة إشعاع وفضاء ثقافيا رحبا يحتضن الأدب ويشجع الكتاب الذين

يتلمسون طريقهم للإبداع على درب المستقبل.



عيد الشهداء ومعاني التضحية والوفاء

بقلم: الاستاذ محمد الرزقي

تستعد تونس هذه الايام لاحياء ذكرى الشهداء والتي توافق يوم 9 أفريل من كل سنة فتسعيد الذاكرة الوطنية اجماد هؤلاء الشرفاء الذين ضحوا بانفسهم حتى يمنحوا حق الحياة فمثلوا ارواح التضحية والفداء.

فادنى درجات الوفاء ان نزرعهم بواسق في الارض ونجوما في السماء لتكون سيرتهم ومسيرتهم حية في الازهان فيستحضرني في هذا المقام اجزاء من خطبة نارية كان ألقاها زعيم الشباب علي البلهوان يوم 8 أفريل 1938 بمناسبة الاضراب العام، فيقول في حماس فياض: "جئنا في هذا اليوم لاطهار قوانا، قوة الشباب الجبارة التي ستهدم هياكل الاستعمار.. ان البرلمان لا يبني الا على جماجم العباد، ولا يقام الا على سواعد الشباب". وبعد يوم واحد ارتكبت السلط الاستعمارية مجزرة بشعة ذهب ضحيتها العشرات من ابناء هذا الوطن.

فكم اتمنى ان اشاهد مسلسلات وافلام تؤرخ لهذه الحقبة النيرة من تاريخ تونس وتقدم للناس الشخصيات الفذة في تاريخنا النضالي من امثال الدغباجي ومصباح الجربوع وغيرهم فتطلق اسماء هؤلاء

الشرفاء على المدارس والمعاهد والجامعات والشوارع والساحات العامة حتى نغرس معاني التضحية في نفوس الناشئة.

فجميل ان نستحضر سيرة هؤلاء الابطال والاجمل ان نتمثل سيرتهم ونسير على خطاهم، لان هؤلاء الاشاوس تخلوا عن جميع اشكال الانانية وترفعوا عن النزاعات الجهوية وسخروا كل طاقاتهم لخدمة مصلحة البلاد فنحن في حاجة ماسة الى تظافر كل الجهود حتى تواصل تونس مسيرة التنمية والسموق لينذل كل فرد قصارى جهده في ميدانه محكما ضميره في كل ما يفعله.

ومجلة الاتحاف امنت منذ نشأتها بهذا الخط واعتبرت بمجهوداتها لبنة من لبنات الثقافة الوطنية الاصيلية، فلا يكاد يخلو عدد من ذكر شخصية وطنية ولا يكاد يخلو عدد من البحث والتجديد وان اصابته هيئات تحريرها المختلفة حيناً، وجانبته الصواب احيانا اخرى، فذلك في حقيقة الامر ضريبة حتمية للاجتهد، خاصة ان المجلة احتفلت منذ ايام بمرور ربع قرن على تاسيسها، حضره جمهور من اهل الفكر والادب فاستمعت ادارة المجلة الى ملاحظات متابعيها ومحبيها ووضعت استراتيجية تعمق المكاسب وتتجاوز النقائص حتى تضمن للمجلة انطلاقة جديدة واكثر اشعاعا.

دامت تونس حرة مستقلة، ودامت الاتحاف منارة من منارات الثقافة التونسية.

خبر النقيشة بين الصدى الممتد والمرتد

"حفريات في النصّ الروائي"

قراءة في رواية : "خبر النقيشة" لسالم دمدوم

بقلم : الهادي العثماني

كلّ عمل فني إيمان بخصوبة الذهن البشري والحياة البشرية والعالم المحيط
بهما وأعمال كل فنان تعبير عن مدى هذا الإيمان

يوسف الشارني

"دراسات في الأدب العربي المعاصر"

ARCHIVE

الرواية التجديدية الجديدة :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

خبر النقيشة نموذجاً

يلاحظ المتابع لحركة نموّ الرواية العربية تطوّراً فارقاً في هذا الجنس
الأدبي خلال المرحلة الأخيرة، بما يمثل دخولها طوراً جديداً وتجديدا على
مستوى الشكل والمضمون كليهما.

أمّا على مستوى الشكل، فقد تخلصت الكتابة السردية وتحرّرت من
الرومانسية والغنائية وانعتقت من مسار "الحكي" المطرد والوصف
المباشر للأحداث لتدخل عبر نماذج من هندسة البناء المعماري المختلف،
تجنّد له أدوات ووسائل نوعية بحيث استفادت من السينما والمسرح
والفن التشكيلي والشعر وغيرها من الفنون الأخرى لتكتسب بذلك

ظاهراً الجديدة ضمن انساق توائم بين منطقها ومنطوقها وتوظف اللغة عملية إبداعية فاعلة في انجاز المضمون والإحالة الإيعازية على الهموم والاهتمامات التي يزخر بها النصّ الروائي الحديث.

أما على مستوى المضمون فقد تمرّدت الرواية الحديثة على "الأطروحات الكلاسيكية وانتهجت القطيعة مع الإيديولوجيات والمثالية فانسحب البطل المحوري النموذجي ليصبح الحدث في حد ذاته هو البطل الحقيقي وألغي الإطار المكاني والزّماني. وتجاوز كتاب الرواية الجدد هيكله نصّهم على الأبعاد الثلاثة للمدّ الحديث في تطوّر الحركة السردية الذي اعتمدته الرواية قديماً طيلة مرحلة تاريخية ممتدة على مجال من الوقت غير قصير والذي يمثل اتّجاه الأحداث عمودياً بتطوّر ظاهرة التآزم تصاعدياً إلى حد بلوغ العقدة وهي قمة التوتر ثم الانعراج باتّجاه تنازلي نحو الحلّ وانقراج الأحداث، لتصبح الكتابة الروائية اليوم جملة من التفاعلات والعلاقات الداخلية بين مجموعة من العقد والتآزّلات والانفراجات والأبطال والشخصيات المتراوحة بين الظلّ والضوء، على جانب تقاطع المواضيع والاهتمامات وتنافرها أو تناسقها مع الخطوط المرسومة على مفارقات، هي صورة أخرى لهذه الحياة الصّاحبة المحتدمة بما فيها من أسئلة حارقة ومتاهات تأبى أن تتوقّف عند نهاية ما. إنّها تمثّل بحثاً دائماً عن أدوات جديدة تمنح الكاتب قدرات إضافية للتعبير عن علاقة الإنسان بواقعه المتغير.

الرواية الكلاسيكية توثيق للواقع والرواية الجديدة تجسيد لرؤية لا

يقينية في ما يستجد ضمن الواقع.

الروائي سابقا يتم العمل ويمكن منه قارئه جاهزا مستجيبا للإستهلاك السهل السريع، أما روائي اليوم فإنه يتعامل مع القارئ كشريك ويتعامل مع الرواية باعتبارها عملا فنيا مفتوحا لا نسخة من الحياة، أو صورة طبق الأصل من الواقع اليومي المعيش، لذلك صارت العناية موجهة نحو التقنيات المعتمدة في بناء عمل فني ما وهذا ما يدعو إلى تمرّد هذا الفنّ على ذاته بحيث يطرح كلّ ثوب له قبل أن يبلى معتمدا تقنيات متجدّدة متطورة، تتشكّل من الخطوط الدقيقة في تفاصيلها الصغرى لأنساق الحياة المتغيرة باستمرار.

الرواية الجديدة ليست اطمئنانا ومناخات رضى بل هي حيرة وانبهار وطقوس شكّ وريبة وتراكمات للخطوات وردّ فعل الإنسان تجاه ذلك. وتبرز تحليلات الخطاب السردي خارج مناطق الإيدولوجيا السائدة والتي تتجاوزها النصّ الروائي الحديث لي طرح الإشكاليات المتعلقة بفنّ الرواية اتساقا مع التحوّلات الكبرى التي افرزها تطوّر الاتصال الجماهيري وقد بدأ هذا الفنّ يستقطب اهتمام النقاد والدارسين، حتى لقد افتعل البعض صراعا وهميا على السيادة بين الرواية والشعر، ولسنا نرى مبررا لافتعال ذلك، بل إنّ الجنسين يتقاطعان ويتكاملان بدل أن يتزاحما على خريطة الإبداع الأدبي.

مدخل :

الأرض تروي تاريخها نقشا على الأحجار- اثر الزمان على المكان-

الحياة تحلّد ذاتها بالنقش على صفحة الطبيعة من خلال نحت المناخ على التضاريس لترك بصمات تسعى صامدة لمغالبة الزمن : لوحات تشكيلية يرسمها عامل الوقت على وجه الأرض غضونا وأخاديد، ومن النقيشة ما لا يرى : نقش الأحداث على الذاكرة وآثارها على الوجدان خطوطا لها أسباب، كدمات وندوب لا تنسى.

من هناك تنطلق الرواية من عنوانها : "خبر النقيشة" والنقيشة نقوش، وشم على الجسد، تواشيح مطرزة على السجاد الشرقي، زخارف عربية على واجهات المساجد أو على أبواب القصور السلطانية، وقبل ذلك كله، رسومات الإنسان البدائي على المغاور والكهوف الجبلية لغة أوليّة للتخاطب والتواصل وبثّ رسائل مرموزة مروراً بالعلامات التصويرية على رقيم الألواح الطينية في الحضارة السومرية القديمة في بلاد الرافدين من عهد آشور وكلدان، والكتابة المسمارية على أبراج بابل القديمة والكتابة الهيروغليفية في مصر منذ سنة 3000 ق م . وغير خافية أهمية الكتابة ودورها في التاريخ تسجيلا لمسيرة الإنسان وتخليدا لعبقريّة الأمم والشعوب وحفظا للذاكرة الجماعية حين يتلاشى المخزون الشفوي ويندثر. فلنكتب إذن. ولنقرأ أيضا، فمن لا يقرأ لا يكتب طبعاً، ولا ننسى أنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بذلك في أوّل آية نزلت على نبيه

الكریم محمد صلی الله علیه وسلّم فی قوله :

بسم الله الرحمن الرحيم : اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.

صدق الله العظيم

نفتح باب الرواية :

منذ البداية يحدّد الكاتب نفسه ويضفي على البطل اعتباراً،

سابقاً عليه مواصفات البطولة فيجعله "رجلاً متعدّد

المواهب، له قدرة على تبليغ أفكاره للآخرين بطريقة مشرّفة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وجذّابة".

ويبدو الكاتب شديد الحذر دقيق الاحتراز تجاه الجميع: الأحداث،

الشخصيات والقارئ وما ينشأ عن ذلك من علاقات وتفاعلات، ليضع

القارئ أمام مسؤوليته منذ عتبة النصّ. وهكذا يفصح المؤلف عن حياته

التام تجاه الأحداث.

وإذا كان الكتاب يبحثون لاهئين عن مادّة خام لبناء أركان الحدث

الرّوائي ويجدّون في النّيش في التّفاصيل الدّقيقة لنسيج خيوط النصّ،

فيكلّفون انفسهم عناء ويتحمّلون إجهاداً لا مناص لهم منه لبلورة

العملية الإبداعية، فإن صاحب "خبر النقيشة" قد استدعى الأحداث

لنتهيأ له ببسر وسهولة إذ جعلها تسعى إليه بتلقائية تنم عن درجة عالية من الخبرة والكفاءة، وهو يربط بينها وبين الشخصيات والموضوع والأحداث دون مشقة (أو هكذا يبدو)، ويدفع بنا على الولوج المباشر والانخراط السريع في الالتحام بما يحدث وقد تحصن وورطنا، فألقي بنا في الخضم وانسحب، ليوهمنا بالموضوعية والبراءة في، ومما يكتب، ولكنه يبقى هنالك على الطرف الآخر من الرّكح يدير الأحداث ويوجهها من خلف ستار (فقرة البداية) وحين يتسوّغ الكاتب لبطله متزلا كان يسكنه في ما مضى طبيب سابق، يوفر له ذلك المدخل الضامن، للتدرج بنا إلى خضم الأحداث التي تنطلق من داخل حقبة فيها ملف أصفر يحوي أوراقا مجهولة المصدر يعثر عليها الرواية في صندوق سيارته اخفي. يكشف في علاقة لا علاقة لها بالواقع، فتوحي البداية بنفس حينك إلى الروايات البوليسية، فالحقبة توحي بالأسرار، وتغري بحب الاستصلاح ما يخلق لدى القارئ أسباب الرغبة، غير أن الرواية يحد نفسه منذ المنطلق، ويضعك مباشرة في تيار الأحداث بسرعة. وتتعدّد لتجد نفسك في خضمها، تجوس مع شخصيتها خلال مغامراتهم، فلا تملك إلا أن تلتصق بهم وتتعب في لفة وشوق كل ما يحدث لكل واحد منهم فاعلا أو منفعلا... إن الطريقة التي تسرّبت بها تلك الحقبة على حوزة البطل طريقة مشبوهة تثير الكثير من الشكوك التي تتسلل إلى مسرح الأحداث وتبقى مهيمنة عليها إلى آخر ردها فيها.

الحقبة تحتوي على ملف أصفر، فيه أوراق تضعك مباشرة أيام لغز

كبير يواجهك منذ الوهلة الأولى. إنها حقيرة طبيب شاب كان يسكن ذلك البيت، وقد سافر مرتين خارج الوطن فقضى نحبه في المرة الأخيرة، هناك بعيدا خلف الحدود ودفع حياته ثمنا لتعاطفه مع الآخرين ممن هم في حاجة إلى خدماته. وحدها حقائبه عادت، تنعاه وتشهد بعقريته وكفاءته الطبية... هذه الأوراق لا تخصّ الطبيب نفسه، ولكنها تخصّ أحد مرضاه المسمّى : "أحمد عنبه" : رجل لغز في ازدواجية شخصيته التي تكتشف عن فيلسوف معتوه أو معتوه فيلسوف، فلا ندري أي الصّفتين سبقت الأخرى. هل كان فيلسوفا انتهى به الأمر إلى الجنون أم أنّ الرجل جنّ فصار فيلسوفا (الورقة 2 ص 13).

لقد اتّسم هذا الملف بالتداخل والغموض ليكون عنصر الإثارة مبنيا على ثنائية الوهم والواقع، تنعقد فيه الأحداث على خط وسط بين الحقيقة والخيال في ما يحدث في حياة الإنسان العاديين وما يضيفه المجتمع من هالات أسطورية ومزايدات في نقل الأخبار الغريبة والمستجدات المسترابة (ارجع إلى الورقة الأولى ص 12).

إن أحمد عنبه هذا شخصية غرائبية تنطوي على أسرار والغاز، وأحاج، بين اللوثة الفكرية والإشراق الرّوحين ولكنه مثقف من طراز عال بل وفيلسوف أيضا، وهو يذكّرنا بمصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة على الشمال للطبيب صالح، شخصية جمعت كثيرا من المتناقضات ما جعلها محلّ اهتمام الناس والطلبة. رجل مصاب بالصّرعة النفسيّة، وله عالمه المليء بالأسرار والغوامض، والإنسان بطبعه ميّال إلى

الخرافات والأساطير.

يقول (ص 14) : " انظروا... ها هو الزورق يتقدم... انظروا... انظروا... نظرنا إلى البحر، فإذا هو كالعادة ساكن هادئ، به موجات صغيرة تتكسر عليها أشعة القمر وتتوجها أحيانا فقائيع بيضاء ولا شيء غير ذلك ولكنه واصل قائلا : " ألم تروها ... ؟ تأملوا جيدا. إنها علياء ومعها هدى... هيا معي نستقبلها".

ها هنا الحلقة المفقودة في حياة أحمد عنه. فمن هي علياء ؟ وما علاقته بها؟ ومن هي هدى ؟ وما علاقتها بعلياء ؟ ... يا له من شخصية غريبة (أحمد عنه) يشدّ اهتمام المحيطين به، يلفت انتباههم ويستثير عطفهم ويرعبهم في نفس الوقت...، ثم نكتشف في ما بعد أن أحمد عنه الحالي كان في ما مضى دكتورا مشهورا قادرا في مهنته، ونقرأ في : "صفحات من مذكرات الدكتور مسعود ص 16" ما به تصبح الأمور جدية وتشوي الأوراق ببعض الحقائق التي تراءت لأحمد عنه، هذا الرجل الذي فقد عقله في خضم أحداث العالم، ولكنه وجد ذاته في هذا الهذيان الذي يفضح بعض الحقائق- واقع بعض الشعوب المنافقة في هذا الزمن الرديء- ويثير قضايا متزاحمة : سؤال الهوية، سطوة العلم والإعلامية، موقفه من المعلوماتية التي تلغي وظيفة المكان والزمان وعلاقة الفرد يهما، وتهمش إنسانية الإنسان وهذه كارثة، نكبة تورث الشعور بالانبتات والتلاشي والذوبان.

يقول في الصفحة 17 : "تحتاجني أحيانا حالة لا مبالة غريبة، لم يعد

لأي شيء طعم : لا الشعر، ولا الفن، ولا الموسيقى، الأمكنة أصبحت تثير في نفسي نوعا من العداة لها... أحيانا أأحاول أن أأخلو بنفسي فلا أجد فرصة لذلك، أأأصرني الآلة من كل مكان. أأأسوب في المأأرل، أأأسوب في المأأكب وفي أأأفظة وأأأاتف أأأوال وأأأار وأأأضائيات على أأألاف أأأافها، كلأها أأأبأ بي ولا أأأرك لي فرصة الأأأفراد بأأأاتي كي أأأأ نفسي من الأأأأل، أأأأ أأأأأ ذأأتي على أأأأ صأأأ".
إنَّ الرأأل أأأأ فوضأ أأأأية عارمة كأأأأنا على كل أأأل، وهو أأأأ إلى أأأأب فوضاه فلا أأأأأ. وأأأأأ : "أأل أأأأأ الأشياء أأ أنا الذي أأأأ ؟ " .

هذا السؤال المزعج الرأأأب من منا لم أأأأه ؟ ولكن من منا أأأأأ أن أأأأ له إأأأة مؤكدة أأأأأ إليها ؟ ويبأأ السؤال معلقا دون أأأب، وثمة شعور بأأأأأ واللامبالاة.
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أأأل : " أأأ أن أأأأ العاصفة وأأأأأ هأأر الرأأب، أأأأأ الهدوء على الأشياء... " .

ولكن العواصف لا أأأأ قبل أن أأأأأ كأأأا من المأأل، وأأأأ بكأأر من الأشياء وأأأأأها، أأأأأ وأأأأها وأأأأ أأأر بأأأا أأأأأ أأأأ مأأأأة لن نأأأأأأها بأأأأة. كل شيء أأأأأ وأأأأ أأأأ أأأأأ إلى الأأأ في وضع أأأأ رهأب أأأ أأأأأ أأأأ أأأأ العلم لأأأأ مأأأأأأأأأ. إنَّ العلم أأأأأ أأأأ و "أأأأل أأأأأ أأأأ

يهيئون الولايم لكلاب البحر والبر وللآخرين مواكب العزاء والحسرة".
هكذا يكون إنزياح الأحداث من الخيال إلى وصف الواقع الراهن،
الواقع الثقافي المتداعي وعبودية الإنسان في حصار الآلة فهل أصبح
التقدم العلمي والزحف الإلكتروني لعنة؟ هاهو العلم يغتال الحب في
فقد الدكتور مسعود لحبيته التي وقع اغتيالها ذات سفرة. وتكون فاجعة
الغياب. فكيف نستطيع أن نوفق بين المحافظة على من نحب وتركه
يمارس حقوقه وحرية العلمية والثقافية؟

قلنا إن أحمد عنه هو نفسه الدكتور مسعود الذي أصيب بصدمة
نفسية سببت اختلال مداركه العقلية فوق إيواؤه في المستشفى لمعالجته،
ونشأت علاقة روحية وفكرية ووجدانية بينه وبين الدكتورة المتابعة
لحالته : مطر عبد السلام. إن اختيار اسم مطر له دلالة النصية، ولا
يمكن أن يكون اعتباطيا. إن الحب يظل الملاذ الوحيد والآخر للهروب
من روتينية الحياة، وعنجهية الحضارة التي همشت إنسانية الإنسان. وثمة
حرقه خفية لفاقد امرأة أحبها ذات جنون حباً خاطفا عاصفا ولكن لم
يدم، حب استثنائي حدث بسرعة واختفى بسرعة مخلفا وراءه حسرة
وأسى.

من جملة أوراق الملف كذلك، مذكرات ناظر المستشفى الذي يعالج
فيه الدكتور مسعود، وجزء من رسالة قديمة، وأخبار في صحيفة. هكذا

ينوّع الكاتب أدوات صنع الحدث لتتداخل وتتضارب وتتناقض وتتكامل وتتماهى، وتعمل على إرشاد القارئ بقدر ما تفتح له المتاهة. وبالتوازي مع كل هذا يطفو على السطح نقد خفي لظاهرة النفاق في المجتمعات الدينية في تعاملها مع الدين (انظر ص 30) حيث تبرز في غضون النصّ خطيئة الإنسان التي يسعى دائما إلى التكتّم حيالها والتستر عليها ولكن: "كلنا لآدم وآدم من تراب. والتراب، أيّ تراب يحتضن الصلوات، ويحتضن الخطايا أيضا.

هكذا يوظف الكاتب أوراق هذا الملفّ المريب للولوج إلى أطروحات فكرية خطيرة وخطيرة وإثارة قضايا معاصرة كبرى تقلق بالكلّ واحد منا نحن أبناء هذا العصر، المهجنين في مخابر العلم الحديث.

على مستوى الهندسة المعمارية للهيكل النبوي للرواية :

نلاحظ اشتغالها على جزئين :

1- ورقات :

وتمثّل عرضا لمحتويات الملفّ الذي وجد بالحقيبة المدسوسة قصدا في صندوق السيارة، وتوظيف ما تحمله من معلومات في إرساء القواعد والأسس التي ارتفع عليها بناء الرواية وقد كانت بمثابة المواد الأولية التي هيأت لهذا البناء أن يقوم وأن يثبت على أرضية صلبة وبمواصفات

معمارية يطمأن إليها، هذه الورقات يمكن إدراجها تحت عنوان :
الوثائق، وهي مجموعة من الأوراق عددها عشرة، وتشتمل على :
مذكرات ورسائل وأخبار صحفية، تصحبها أحيانا حواش وتعليق
وتغطي الجزء الأول من الرواية إلى حدود ص 43 ويمكن تصنيفها كما
يلي :

أ- المذكرات : اخبار القناعات وامتداد دهايز الرعب

ب- الرسائل : حسيس البوح الوجداني / تواشيع اللغة على همس
العواطف: وثمة مقاطع بنكهة الشعر : يقول في صفحة 27 : " في عينيها
تتألق الربي والسّهول، وتتقافز في شبه سباق لاحتضان الألق والنور
والزّرق العجيبة التي تتغلغل بها السّماء في أبريل وماي، بذخ السّنايل
وخصب الحقول، غناء الرعاة وثغاء القطيع وميس القطا وهزج الحجل،
وأنفاس المراعي".

ج- الأخبار الصحفية :

صدى تخلخل البناء الاجتماعي: إحياءات بعيدة ذات ملامح نقدية
ومنها: أحمد عنه يتصدّى لخزعبلات العقلاء، ص 32/33.

د- مصادر مختلفة للخير : لسان الشارع/ وتواتر الإنباء، ومنها : أحمد
عنه يعالج جنون البقر ص 31، إحياءات بعيدة نشتم منها رائحة النقد
السياسي للقوى المتغطرة في العالم.

2- الجزء الثاني من الرواية وهو الأطول ويمتد من ص 41 إلى صفحة

125: الخروج من الوثائق ويندرج تحت العناوين التالية :

الحلم/ في صحبة الأميرة/خير الدليلة/ هندسة الروح/ بواذر

الشك/ رحلة صيد/ في ضيافة إبليس/ هدايا إبليس/ عودة

الراهب البوذي/مخلفات الحلم/الحيرة.

ويمثل ما كتب تحت هذا العنوان الأخير الأخير أطول فصل في الرواية

كلها. يمتد من ص 65 إلى ص 125 محتلاً بذلك ثلث مساحة الرواية،

ما يؤكد أن هذا العمل الروائي إنما هو وليد حيرة ومثير للحيرة وممثل

لها، وأن الحياة كلها سؤال وحيرة أمام كل شيء فيها، ولا يسعد بها إلا

من امتلك الاطمئنان الغيبي.

في النهاية يعود النص إلى الورقة عدد 10 ليختم بها هذا العمل

الروائي بالوثيقة الأخيرة على كلمة "انظر" : فعل أمر للغافل المطمئن

المنساق مع التيار المتواطئ مع زيف القناعات ذلك الذي لا يعمل النظر

- والنظر نظران- فما أحوجنا إلى أن ننظر بتبصر ووعي على حالتنا

البائسة في هذا العالم المليء بالتحديات الذي بدا الإنسان فيه يفقد

إنسانيته، أو يتنازل عنها. وما أحوجنا إلى أن نعمل التفكير في وضعنا

الخادع ونعيد النظر في علاقتنا بكل هذا الطوفان الجارف من المظاهر

الكاذبة حتى على مستوى العلم والدين.

وتكون الخاتمة بتعليق صغير ينبّه إلى أنّ في الوثيقة أسطرا مشطوبة وتاريخا غير واضح - ومتى كان التاريخ واضحا أو موضوعيا - والإنسان الأناني يطمس معلمه ويغيره باستمرار، بل ويدّسه فلا شيء واضح لدينا في هذا الكون لا شيء يدعو إلى الاطمئنان.

وأخيرا يتوقف الكاتب عن الكتابة وتستمرّ أحداث الرواية خارج النص لتبقى مفتوحة على التأويل فاتحة في ذهن القارئ أبوابا لا متناهية للشك والحيرة، مجالا للتفكير وإعادة النظر في كثير من القيم والقناعات السائدة يقوّض بعضها بعضا، فالرواية في الحقيقة جملة من الشائيات المتصارعة المتصادمة. منها ثنائية الانتصار والانكسار في سيرة الدكتور مسعود / أحمد عنه، ثنائية الوهم والحقيقة في (الحلم) و(مخلفات الحلم)، ثنائية الزيف والصدق، الواقع والخيال، المادي والروحي... إلى آخر هذه الشائيات المتضاربة التي انبنت عليها هذه الرواية المبطنة، صورة لحياة الإنسان الفرد يتلاشى أمام هيمنة المجتمع المنافق.. فكيف يمكننا أن نتميز بين الحقيقة والوهم...؟

من مراكز التراث المخطوط بالجزائر:

المكتبة القاسمية نموذجاً.

(1)

بقلم الدكتور: عبد المنعم قاسمي الحسني

(الجزائر)

تمهيد:

تعتبر المكتبة القاسمية من أهم المكتبات الخاصة بالمغرب الإسلامي، ومن أغنى مراكز حفظ التراث المخطوط بالجزائر، وذلك لما تحتويه من نفائس المخطوطات ونبادر الكتب والمؤلفات، ويعود الفضل في ذلك إلى اهتمام الشيخ محمد بن أبي القاسم، فقد كان من كبار جامعي الكتب في القطر الجزائري في القرن التاسع عشر.

والعامل الثاني هو تلك الأوقاف من الكتب التي أوقفها العلماء والشيوخ وأهل البر والإحسان عليها. فغدت بذلك مركز إشعاع علمي وثقافي وحضاري، وملتقى لطلبة العلم والباحثين. الذين فتحت أبوابها أمامهم منذ تأسيسها سنة 1863، وظلت كذلك إلى يوم الناس هذا.

وقد ضمت المكتبة بالإضافة إلى الكتب المدرسية والمعتمدة في مناهج التعليم التقليدي، تراث كبار العلماء المسلمين في مختلف مجالات العلوم من فقه وتفسير وحديث وطب وفلك....

كما احتوت على التراث المغاربي، من مؤلفات زروق الفاسي، عبد الجليل القيرواني، أحمد بن يوسف الملياني...

كما تزخر بالكثير من آثار علمائنا بالمغرب الأوسط خاصة: محمد بن يوسف السنوسي، محمد بن عبد الرحمن الديسي... مما لم نجده في مكان آخر.

وترجع أهميتها أيضا إلى الوثائق والمراسلات الموجودة بها، والتي صدرت عن شخصيات علمية وسياسية ودينية كان لها دورها الفعال في تاريخ الجزائر، كمراسلات مصطفى بنعزوز البرجي، الأمير عبد القادر، الشيخ ابن الحداد، المقراني، الأمير الهاشمي... والتي تغطي فترات طويلة من تاريخنا المعاصر.

كما ساهمت المكتبة في رفع المستوى التعليمي والثقافي بالمنطقة، فلا يخفى علينا أهمية وجود المكتبات في ذلك، وقد كانت مفتوحة أمام الطلبة يأخذون منها ما شاء لهم من الكتب، وفق نظام معين يحافظ على ما بها من مقتنيات، ويسهل عملية الاستفادة منها.

نحاول من خلال هذه المقالة إلقاء الضوء على هذا المركز الهام من مراكز حفظ التراث المخطوط. نتعرف من خلالها على تاريخها، نشأتها، محتوياتها، كما سنقوم باستخراج أهم المؤلفات الموجودة بها. ولنعرف الدور الذي قامت به في رفع المستوى العلمي، فلم تكن المكتبة فقط عبارة عن خزائن ضخمة تضم مئات المخطوطات بل كانت منتدى وملتقى لكثير من العلماء وطلبة العلم، فقد كان يجتمع بها أساتذة زائرون، كما كانت مقصدا

لكثير من العلماء من المغرب وتونس، من أمثال الشيخ الحجوي، عبد الحي الكتاني، المكي بن عزوز، أحمد الأمين الحسين القفصي وغيرهم كثير. لما حازته من شهرة ببلاد المغرب. وحتى أوروبا وربما تعود شهرتها بها إلى الفهرس الذي أعده المستشرق الفرنسي رينيه باسيه.

نتناول فيها العناصر التالية:

1. زاوية الهامل: التعريف بها، الموقع التأسيس، المؤسس....
2. المكتبة القاسمية: موقعها، تاريخها ونشأتها، أهميتها...
3. فهارس المكتبة: فهرس المستشرق رينيه باسيه، الشيخ محمد بن عبد العزيز، الأستاذ فؤاد القاسمي.
4. من نفائس المكتبة: الرسائل، الوثائق، المخطوطات.
5. أهم المخطوطات بها: من مختلف أقطار العالم الإسلامي.
6. مؤلفات علماء الجزائر بالمكتبة: في العقيدة، التفسير، التاريخ، الفقه، التصوف....

7. النتائج:

1 - زاوية الهامل⁽¹⁾:

من المعالم الحضارية والصروح الثقافية التي تزخر بها بلادنا، والتي يحق لها أن تفتخر بها وتباهى، وهي من المؤسسات العلمية التي أنشئت في منتصف القرن التاسع عشر، وأدت دورا هاما وأساسيا في المحافظة على أصالة وقيم هذا الشعب الدينية والروحية والثقافية.

وصفها الأستاذ أحمد توفيق المدني في كتابه حياة كفاح بأنها:

"معقل العروبة والإسلام"⁽ⁱⁱ⁾، وقال عنها الباحث الفرنسي الكبير الأستاذ جاك بيرك: "إن تاريخ زاوية الهامل يهيم تاريخ المغرب بأسره، من حيث الجهود الذي بذلته بكل عزم في زمن الاستعمار، وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس"⁽ⁱⁱⁱ⁾، وقال عنها أحد الباحثين: "إن زاوية الهامل لا تطأطى رأسها للزيتونة ولا للقرويين".

تقع هذه الزاوية العلمية على بعد حوالي 250 كم جنوب الجزائر العاصمة، إلى الجنوب الغربي من مدينة بوسعادة المدينة السياحية المعروفة^(iv).

أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي^(v)، وهو من رجالات التصوف والعلم بالجزائر في منتصف القرن التاسع عشر، تم تأسيسها في ظروف صعبة، بعد التشديد على المدارس القرآنية والزوايا والضغط عليها، وذلك بعد مشاركة الزوايا والطرق الصوفية في معظم الثورات التي قامت ضد المحتل الأجنبي، بل نجد أن معظم الثورات كان قادتها هم شيوخ زوايا وزعماء طرق صوفية.

أسسها صاحبها لمجموعة من الأهداف والغايات وهي: التعليم والطريقة والرعاية، ومما جاء في إحدى وثائقه متحدثاً عن نفسه بصيغة الغائب بخط يده ما يلي: "وبأول سنة 1279هـ رجع لبلاده قرية الهامل، فبنى بها زاوية للطلبة والإخوان والأرامل والأيتام والزمنى والعميان، فتعلم عنده بالزاوية المذكورة خلق كثير قراءة القرآن والفقه والنحو وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية وإعطاء أوراد الطريقة الرحمانية"^(vi).

وهي تابعة للطريقة الرحمانية^(vii)، ونحن نعلم ما تعنيه الطريقة

الرحمانية بالنسبة للمحتل الفرنسي، فقد تحالفت مع الأمير عبد القادر، وبعد انتهاء المقاومة قادت بنفسها معظم الثورات التي عرفتها الجزائر، على الأقل في مناطق وجودها: ثورة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي 1849، ثورة بلاد القبائل 1852، ثورة الشيخ الصادق بن الحاج بالأوراس 1859، ثورة لالا فاطمة نسومر، ثورة الشيخ ابن الحداد 1871.... وقد شارك أتباعها في كل الثورات التي قادتها الطرق الأخرى^(viii).

ومن الأسس التي قامت عليها زاوية الهامل ومن المبادئ التي ظل الشيخ المؤسس متمسكا بها "تمتين روابط الصلة مع المجاهدين في داخل الوطن أمثال الشيخ الحداد، المقراني، بوعزيز الماضوي، وغيرهم والتشاور معهم عن طريق المراسلة أو الاتصال المباشر". ويذكر الشيخ خليل القاسمي^(ix) رحمه الله أن: "مؤسس الزاوية كان يأخذ أوامره من الأمير عبد القادر من منفاه بدمشق، وأن العلاقة ظلت قائمة بين الرجلين، وحتى بعد وفاة الأمير استمرت روابط المودة والإخاء مع أبنائه"^(x). وجاء في أحد التقارير الأمنية الفرنسية حول شخصية مؤسس الزاوية ما يلي: "... فبقاؤه بالجزائر يسبب خسارة كبرى للخزينة العامة بسبب الأموال الكبيرة التي تضعها الأهالي بين يديه، زيادة على أنه مخالف للقوانين المعمول بها، ثم إنه يساهم في رفع الروح المعنوية للأهالي"^(xi).

وتولى التدريس بها ثلة من العلماء الأفاضل نذكر منهم: الشيخ محمد بن أبي القاسم، الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، الشيخ عاشور الخنقي، الشيخ المكي بنعوز، الشيخ أحمد الأمين، الشيخ محمد بن الحاج محمد... وغيرهم كثير.

وتخرجت منها أعداد هائلة من حفظة القرآن من معظم نواحي القطر الجزائري. وفي تقرير للسلطات الفرنسية سنة 1885 نجد: "أن عدد الطلبة سنويا يتراوح بين 200 و 300. وكان يدرسهم حوالي 19 أستاذا"^(xii)، ويذكر دي غالان أن عدد الطلبة في عهد المؤسس كان يتجاوز 400^(xiii)

من أشهر خريجيها: محمد بن عبد الرحمن الديسي^(xiv) (ت 1921)، محمد بن الحاج محمد القاسمي^(xv) (ت 1913)، حمدان الونيسي^(xvi) (ت 1920م)، علي بن إبراهيم العقبي^(xvii) (ت 1921م)، أبو القاسم الحفناوي^(xviii) (ت 1942)، حميدة بن الطيب الجزائري^(xix)....

دخلت معترك الصراع الحضاري والثقافي مع المحتل الأجنبي، بترسيخ القيم الحضارية والأبعاد الروحية والدينية للشعب الجزائري، وسعت إلى تكوين أجيال متشبعة بالأخلاق الإسلامية ومتمسكة بالآداب والفضائل السامية، وفتحت أبوابها على مصراعيها أمام طلبة العلم والمعرفة، لينهلوا ما شاء لهم من علوم ومعارف إسلامية، وركزت أساسا على اللغة العربية لما تحمله من مضامين وأدوات وقيم.

ولعل أحسن وأدق عبارة تلخص لنا الصراع المرير الذي كان دائرا بين الزوايا والمحتل الأجنبي بالجزائري، هي عبارة الأستاذة "إيفون توران": "وحاولت فرنسا إنشاء مدارس عربية فرنسية ثم المكاتب الإسلامية ثم مدارس عربية بحتة، ولم يلتحق الجزائريون إطلاقا بأي من هذه المدارس، بل لقد هدمت في أوقات الانتفاضات ومنها انتفاضة 1871، في برج بوعريريج ومازونة ونجاية، لأنها (مدارس النصارى) وقامت حرب المدارس، وقد

اشتكى ضابط من مستغانم من مقاطعة المدارس وتأثير الزوايا في الشباب وفقدت المكاتب العربية قوتها وخسرت المعركة^(xx).

خلاصة القول أن الزاوية الهاملية ساهمت في الحفاظ على مقومات هذه الأمة، وتكفلت بالمهام النبيلة التي قامت بها مختلف الزوايا في القطر الجزائري، خصوصا في فترة الاحتلال أين ازدادت حاجة المواطنين إلى مثل هذه المؤسسات العلمية الخيرية. وعرفت شهرة كبيرة في حياة مؤسسها واستمر تأثيرها في الأوساط بعد وفاته بفضل تعاون وتكاتف أبناء الأسرة القاسمية وحفاظهم على المبادئ التي عمل من أجلها المؤسس وهي: العمل والعلم والإخلاص والابتعاد عن كل ما يمس بسمعة الزاوية أو يشوه صورتها، لدى الشعب الجزائري.

3 - المكتبة القاسمية:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إذا كانت بغداد تفتخر بدار الحكمة، وتفتخر الرباط بذخائر الخزانة العامة، وفاس بمكتبة القرويين، وتته القاهرة بكثرة ما عندها من المخطوطات في دار الكتب وما تزخر به مكتبة الأزهر الشريف، فحق لزاوية الهامل أن تفتخر بمكتبتها. فقد ضمت أنفس المخطوطات وأندرها.

الموقع: تقع المكتبة بزاوية الهامل الشهيرة، بولاية المسيلة جنوبي الجزائر العاصمة، بحوالي 250 كم. مقرها الأول هو منزل الأستاذ محمد بن أبي القاسم رحمته الله، داخل سكنه. وكان يستقبل ضيوفه من العلماء بها، ثم حولت إلى البناية المعروفة بـ "العلي" — وهي بناية شيدت في بداية القرن العشرين، مخصصة لاستقبال الضيوف. ووضعت بالطابق السفلي من البناية،

نقلت مؤخرًا — سنة 1997م — إلى قاعة واسعة الأرجاء بالطابق العلوي، وهي في مكان آمن يتوفر على الشروط الأساسية للحفاظ على المخطوط. إذ لا وجود للرطوبة أو الحرارة الشديدة، وهذا ربما من الأسباب الرئيسة — بالإضافة إلى عناية شيوخ الزاوية بها — في بقاء الكتب في حالة جيدة.

تأسست على لبنة من تركة جد الأسرة القاسمية الشيخ عبد الرحيم بن سائب بن منصور الشريف الحسني، وبقية مما ترك ابنه الشيخ أبو القاسم. ثم ازدهرت في عهد الشيخ محمد بن أبي القاسم الحسني (ت 1897م)، بعد أن أسس زاويته المشهورة بالهامل.

1 — مصادر الكتب:

ومما جاء في الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم ما يلي: "وقد كان الأستاذ بنفسه يختار الكتب التي يدرسها ويشرحها لتلامذته، ككتاب الواحدي في التفسير وابن أبي جرة في الحديث والرسالة القشيرية في التصوف، وقد كان لا يترك الدروس في علوم عديدة من الفقه والتفسير والحديث والنحو والكلام وغير ذلك، أما الفقه فقد كان من سنة 1278 إلى 1288 يتولى درس الفقه بنفسه ثم فوض تدريسه إلى نجباء طلبته"⁽¹⁾.

ويرجع الفضل في ذلك — بعد الله — إلى اهتمام الشيخ المؤسس نفسه بجمع المخطوطات والمؤلفات من مختلف الجهات والنواحي. وقد جمعت عن طريق^(xxi):

— الشراء: كان يكلف طلبته ومجبيه بشراء المخطوطات الهامة،

ويضيفها إلى مكتبته التي وضعها في خدمة الطلبة، والتي استفاد منها كثير من الأساتذة والباحثين، مثل الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، الشيخ عاشور الخنقي، الشيخ محمد المكي بنعزوز، الذي كثيرا ما أشاد بهذه المكتبة. وقد وجدنا في مراسلات عديدة الحديث عن شراء بعض الكتب والمخطوطات، كتلك التي وصلته من الشيخ أحمد الأمين من المدينة المنورة (فضائل مكة)، أو من تونس من طرف الشيخ محمد المكي بنعزوز. (معالم القيروان).

— النسخ: مما يدعو للإعجاب هو تكليف بعض الطلبة بنسخ الكتب النادرة التي لا يستطيع الشيخ الحصول عليها، فيكلف أحد الطلبة، بنسخها، ومنها كتاب: رحلة أبي راس العسكري، خلوة السرداب التي نقلها الشيخ عاشور بخطه عن الأصل الموجود بمكتبة باش تارزي بقسنطينة، ومن الكتاب الذين أسهموا في هذه العملية الصحفي المعروف مصطفى بن سادات(2) الذي نسخ كتاب سيرة أحمد بن يوسف الملياني. والشيخ محمد العربي بن أبي داود(3) — أحد تلامذة الشيخ المؤسس — الذي نسخ بيده كتاب ((سلم السعادة ومركب الربح لمن أراحه)) لعبد الصادق بن عيسى في 80 ورقة.

— الإهداء أو الوقف: كثير من الطلبة والمريدين الذين أوقفوا كتباً لصالح المكتبة، ولخدمة العلم بهذه المنطقة من البلاد، وذلك لثقتهم في الشيخ المؤسس رحمته، فنجد في بعض المخطوطات عبارات الإهداء أو الوقف، كما نجد في بعض الرسائل ذكر بعض العناوين التي قدمت للشيخ على سبيل الوقف — مراسلة الشريف المقراني حيث أوقف تفسير الخازن على المكتبة

— وقد جعلها كلها حبسا على زاويته، وكان يكلف طلبته باستنساخ المخطوطات وجعلها وقفا على الزاوية.

2 — المحتويات:

وتحتوي المكتبة على عدد كبير من المخطوطات حوالي 800 عنوان في نحو ألف ومائتي مجلد. وإذا نظرنا إلى محتوياتها نجد أنها تضم كتب الفقه المالكي، التفسير، الحديث، بشكل أكبر ثم تليها الموضوعات الأخرى وهذا ما يطبع معظم المكاتبات الخاصة الجزائرية في تلك الفترة.

علوم القرآن 92 عنوان بنسبة 42،11 %، الحديث الشريف 70 عنوان بنسبة 8،69 %، الفقه وأصوله 294 عنوان بنسبة 36،52 %، التاريخ والتراجم 44 عنوان بنسبة 5،46 %، التصوف 94 عنوان بنسبة 11،67 %، الفكر والتوحيد 54 عنوان بنسبة 6،70 %، العلوم 22 بنسبة 2،73 %، اللغة والأدب 135 بنسبة 16،77 %⁽⁴⁾.

أ—مخطوطات الفقه:

كان اهتمام الأستاذ — رحمه الله — منصبا — بعد تعليم القرآن — على تعليم أبناء المسلمين الفقه، ويفد إلى الزاوية جم غفير من الطلبة، مطلبهم تعلم الفقه، كان فصل الشتاء، وجزء من فصل الربيع مخصص لتدريس مختصر أبي الضياء خليل بن إسحاق المالكي، ولما أن كانت للكتاب أزيد من مائة شرح اقتنى الأستاذ — رحمه الله — أهم هذه الشروح.

ومخطوطات الفقه تمثل أكبر نسبة في محتويات المكتبة، حيث ضمت 294 عنوان، بنسبة 36،52 بالمائة. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

— شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني، وهو شرح موسوعي على المختصر
— شرح الشيخ الخرشي على مختصر خليل، ويوجد من هذا الشرح أزيد
من أربع نسخ تامة.

— شرح الشيخ إبراهيم الشبرختي على المختصر: وهو أكثر توسعا من
شرح الزرقاني.

— حاشية على شرح الشيخ الزرقاني للشيخ محمد بن الحسن الباني.

— مواهب الجليل في شرح مختصر خليل : للشيخ الخطاب.

— حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : وهو الكتاب المعتمد في تدريس
خليل بالزاوية في الفترة الأخيرة، بعد أن كان السائد هو شرح الإمام
الخرشي. وغيرها من المخطوطات.



ARCHIVE

مخطوطات التفسير:

جاء في رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى الشيخ المختار بن عبد
الرحمن الحدباوي: "كتاب التفسير الذي اهتم به الطلبة أكثر تفسير الخطيب
الشربيني بالإضافة إلى عشر تفاسير أخرى كانت تدرس بالزاوية"^(xxii).
وجاء في برنامج الشيخ محمد المكي القاسمي ما يلي: "كتب علم التفسير التي
كانت تدرس بالزاوية: الكشف للزمخشري، الجلالين للسيوطي بحاشية
الجمال وحاشية الصاوي الخطيب، الشربيني للشربيني، البيضاوي لعبد الله بن
عمر البيضاوي، أبو السعود للشيخ أبو السعود، الفخر الرازي لفخر الدين
الرازي، الخازن لعلاء الدين البغدادي، النسفي لحافظ الدين أبي البركات،
الإتقان للسيوطي"^(xxiii).

وأما تفسير القرآن الكريم ففي المكتبة أزيد من 90 كتابا موزعة بين

المصاحف والتفاسير والكتب المخصصة لعلوم القرآن، ومن مصنفاته:

— تفسير الجلالين.

— السراج المنير في شرح معاني كلام ربنا الحكيم الخبير.

— لباب التأويل في معاني التنزيل: تفسير الخازن.

— الجواهر الحسان في تفسير القرآن : وهو تفسير الإمام الثعالبي.

— تفسير بن جزى: وهو من التفاسير المختصرة النادرة.

مخطوطات الحديث:

جاء في رسالة رفع النقاب للشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي في معرض ترجمته للشيخ محمد بن أبي القاسم ما يلي: "وختم عدة وافرة من كتب الحديث المعتمدة ختمات عديدة كالموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم والجامع الصغير وشروح شمائل الترمذي وشرح الأربعين النووية وسيدي عبد الله بن أبي حمزة وشفاء القاصي عياض.... يسرد على التوالي نحو الثلاث كراسات بلا تعب ولا ملل، ولولا سامة أهل المجلس أو ما يعرض من الحوائج أو أوقات الصلوات ما كان يقطع القراءة. ولا تقل عناوين كتب الحديث وعلومه عن 70 كتاباً، ومنها:

— الجامع الصحيح للإمام البخاري في أربعة مجلدات داخل علب جلدية.

— صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في سفر واحد ضخمة، بخط

نسخ جيد.

— شرح موطأ الإمام مالك بن أنس للشيخ أحمد الزرقاني.

— موطأ الإمام مالك.

— بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها، أو ((مختصر ابن أبي جمرة)).

— كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق للإمام المناوي.

— الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية، للإمام الشيرخيتي.

— إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني.

مخطوطات التصوف:

المكتبة تابعة لزاوية صوفية رحمانية، تتبع الطريقة الرحمانية، فضمت تراث أعلام الصوفية: القشيري، السكندري، الشعراي، ابن عباد، ابن عربي، الثعالبي.... وتراث الطريقة الرحمانية، فنجد بها معظم تراث الطريقة مثل رسائل بن عبد الرحمن الأزهرى، عبد الرحمن باش تارزي، محمد أمزيان الحداد...

وأما كتب التصوف ففي المكتبة مجموعة من نواذر المخطوطات

يصل عددها إلى أزيد من 90 عنوان تذكر منها:

— أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس.

— مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين، للزغلي

— عوارف المعارف للسهروردي.

— المفاخر العلية في المآثر الشاذلية للنفزي.

— الرسالة القشيرية للقشيري.

— روض المحب الفاني فيما تلقيناه عن التيجاني.

— بغية السالك في أشرف المسالك، لمحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي.

— التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم

- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، لمحمد بن إبراهيم بن عباد النفري.
- رياض الصالحين وتحفة المتقين، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري،
- فصوص الحكم.
- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة.
- تنبيه الأنام في الصلاة على النبي عليه السلام.
- الرموز والإشارات لأحمد بن يوسف الراشدي الفاسي.

مخطوطات اللغة والأدب:

ومخطوطات اللغة والأدب لا تقل أهمية عن بقية المخطوطات وبالمكتبة 135 عنوان وهذا الرقم يأتي بعد الفقه مباشرة وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه المخطوطات:

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- القاموس المحيط.
- المصباح المنير.
- العقد الفريد لابن عبد ربه
- تنوير الحوالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك،
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، ومع المتن شرحه.
- شرح ألفية ابن مالك لابن المؤلف
- قطر الندى وبل الصدا لابن هشام ومع المتن شرحه.
- مجموعة من شروح الهمزية.
- مجموعة من شروح الأجرومية.
- مقامات الحريري.

الأحرف السبعة والقراءات

بقلم د. أنور بن خليفة

تعتبر مسألة "الأحرف السبعة" والقراءات" من صميم موضوعات علوم القرآن والملاحظ أن الذين انشغلوا بالبحث فيهما لم يصلوا إلى رأي موحد حول تعريفهما إذ نجد من يذهب إلى أن المقصود بـ "الأحرف السبعة" هي "القراءات" وعلى ذلك كان الخليل بن أحمد واضع علم العروض ونجد العديد من العلماء الذين بحثوا في هذا المجال قد ردوا هذا الرأي إذ يرى الطبري (ت310هـ) أن "اختلاف القراءات إنما هو كله على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وهو الحرف الذي كتب عليه المصحف" (xxiv) أي أن "الأحرف السبعة" التي نزل بها القرآن الكريم هي غير "القراءات السبع" التي يقرأ بها فهذه القراءات تأتي كلها تحت الحرف الذي كتب به المصحف العثماني.

فما المقصود بالأحرف السبعة و القراءات؟ وما الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ومن اختلاف القراءات؟

1) تعريف الأحرف السبعة

الأحرف، جمع حرف، وقد كانت العرب تسمي المقطوع من الحروف المعجمة حرفاً ، وتطلق نفس الاسم على الكلمة المنظومة، وهي تسمي به أيضاً القصيدة الكاملة^{xxv}

وقد يراد بالحرف المعنى والجهة والوجه. وعلى هذا المعنى جاء قول الله تعالى

"ومن الناس من يعبد الله على حرف" ^{xxvi} قال ابن حجر "سبعة أحرف أي سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها" ^{xxvii}

وقد يراد بالحرف القراءة من القراءات القرآنية يقول ابن الجزري في هذا السياق "كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر" ^{xxviii}

وقد وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف إلا أنها لم تحدد المراد بهذه الأحرف. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، ثم لم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف" ^{xxix}. وقال صلى الله عليه وسلم أيضا "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا منه ما تيسر" ^{xxx}. كما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ولا حرج ، ولكن لا تحتموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة".

(2) تعريف القراءات

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة مصدر لفعل قرأ . وفي الاصطلاح "علم به اتفاق الناقلين واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل لكتاب الله تعالى". ^{xxxi} وقد عرفها الزركشي بالقول هي "اختلاف ألفاظ الوحي - المذكور - في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرها". ^{xxxii} ويعرفها ابن الجزري بأنها "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله". ^{xxxiii} ومن هذه التعريفات يتبين لنا أن المراد بالقراءات القرآنية هي كيفية النطق بالقرآن الكريم كما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم وكما أنزل من الله تعالى.

ويمكن أن نستخلص أن القراءات المروية عن القراء توقيفية و ليس اجتهادية فهي سنة مروية عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، يتصل سند من يرويها به . وقد أخذها الصحابة وفي عهد التابعين أقبل أهل كل مصر على التلقي من الصحابة الذين كانوا بينهم ثم من بعدهم تولى مجموعة من العلماء القراءات بعناية فائقة وأصبحت القراءات علما مستقلا كبقية العلوم الشرعية.

ولعل أهم القراء الذين اشتهروا بالثقة و الأمانة هم:

- 1- ابن عامر: وهو عبد الله بن عامر بن يزيد بن ربيعة اليحصبي الدمشقي، وهو من كبار التابعين توفي بدمشق سنة 118هـ.
 - 2- ابن كثير: وهو عبد الله بن كثير المكي القرشي، توفي بمكة سنة 120هـ.
 - 3- عاصم: وهو عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي، توفي سنة 128هـ.
 - 4- حمزة: وهو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات التيمي الكوفي، توفي 150هـ.
 - 5- أبو عمرو: وهو أبو عمرو بن العلاء بن عبد الله البصري، توفي بالكوفة سنة 154هـ.
 - 6- نافع: وهو نافع بن عبد الرحمن، وهو مدني أصله من أصبهان ،توفي بالمدينة سنة 169هـ.
 - 7- الكسائي: وهو علي بن حمزة الأسدي الكوفي، توفي سنة 189هـ.
- وقد اشتهر من كل طريق من طرق السبعة روايتان ،فعن نافع مثلاً اشتهرت روايتا قالون وورش وعن عاصم روايتا أبي بكر بن عياش وحفص ...

وقد ألحق البغوي - في تفسيره - بمؤلاء السبعة ثلاثة آخرين لم يخالف قراءاتهم رسم القراءات السبع وهم: يعقوب بن يزيد بن القعقاع، (ت130هـ). ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت205هـ). وخلف بن هشام بن ثعلب (ت229هـ).

و إلى هؤلاء أصحاب القراءات العشر يزيد بعض العلماء أربع قراءات يعتبرونها صحيحة وهي قراءة الحسن البصري (ت110هـ)، وقراءة ابن محيصن (ت123هـ)، وقراءة يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي (ت202هـ)، وقراءة الشنبوذي، أبي الفرج محمد بن أحمد (ت388هـ).

والجدير بالذكر أنه ليس هناك ضابط في تحديد القراء بسبعة، وليس هناك أثر في التمسك بقراءة سبعة دون غيرهم. والقراءات ومن خلال ما ذكرنا ترجع إلى زمن توزيع النسخ من المصحف العثماني على الأمصار حيث برزت الحاجة إلى ضبطها ونشأ من ذلك ما يطلق عليه "علم القراءات". وبذلك فإن مسألة "الأحرف السبعة" شيء ومسألة "القراءات" شيء آخر ذلك أن الأولى مرجعها قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد استقرت قبل وفاته مع أنها ملازمة لتزول القرآن. أما القراءات فقد ظهرت بعد عصر الصحابة بفترة طويلة كما أن تعيينها وضبطها لم يبدأ إلا في القرن الثالث الهجري .

3- الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف وتعدد القراءات :

بالعودة إلى الأحاديث النبوية الواردة في شأن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف يمكن أن نستنتج الحكم التالية :

- رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ونعمته عليهم وإضافة إلى العمل على استئصال مظاهر الفرقة و الاختلاف بينهم .

- رحمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأمته حيث كان يطلب التخفيف تلو الآخر رغبة منه في إزالة المشقة والخرج وتحقيق السهولة .
- رغبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في التسهيل على أمته إذ ما كان يسهل النطق به على البعض منهم كان يصعب على الآخرين ، باعتبار اختلاف لغاتهم ولهجاتهم فلو نزل على القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليهم أو لضطر الواحد منهم للعدول على العادة التي نشأ عليها من المد والإمالة والتلين مثلاً...ولترك لغته.

أما من الحكم الواردة في تعدد القراءات فيمكن ذكر :

- + تأكيد مبدأ التخفيف والتيسير الذي قام عليه القرآن الكريم .
- + في تنوع القراءات وتعددتها إبراز لوجه من وجوه الإعجاز القرآني
- + تعدد الأحكام الشرعية من الآية الواحدة بتنوع القراءات واختلافها مع سهولة بلوغ المعاني المتضمنة فيها إضافة إلى تراكم التأليف في هذا الصنف من العلوم الشرعية.

¹الزركشي " البرهان في علوم القرآن " 1 / 214

²الزركشي " البرهان في علوم القرآن " 1 / 213

³سورة الحج الآية 11

⁴23\9 أحمد بن حجر العسقلاني " فتح الباري "

⁵ابن الجزري " طبقات القراء " 1 / 292

⁶البخاري حديث رقم 4705 مسلم حديث رقم 819

⁷البخاري حديث رقم 2287 مسلم حديث رقم 818

⁸ج 1 ص 273 السيوطي " اللاتقان "

⁹الزركشي " البرهان في علوم القرآن " ج 1 / 318

¹⁰ابن الجزري " منجد المرنين " ص 3

"الزريبة"

بقلم: عمار الزريبي



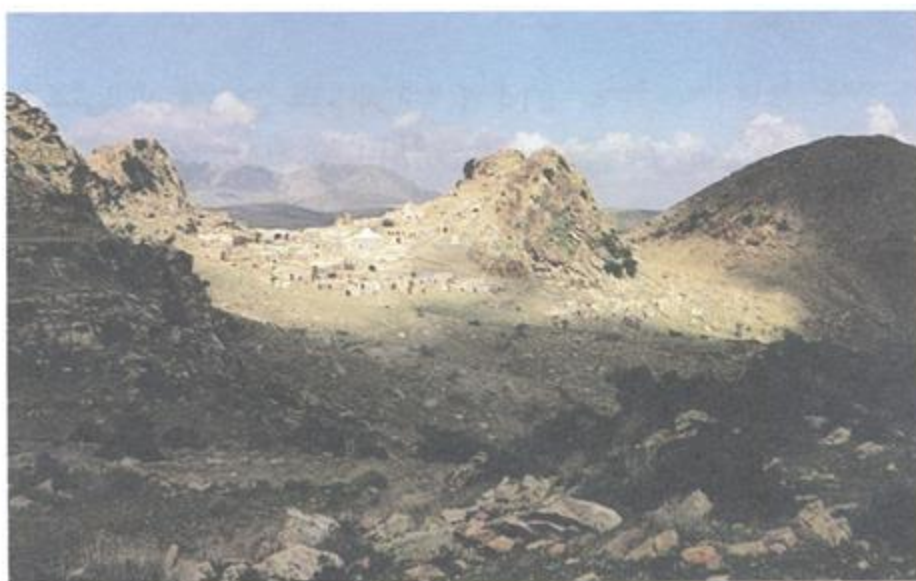
قرية حاملة على الدوام في حضن جبل السرج الأشم، المنتصب في أقصى جنوب مدينة سليانة، البالغ ارتفاعه 1357 م، الموجود ضمن سلسلة جبال الظهر التونسي.

قرية مدثرة منذ نشأتها بغطاء غابي كثيف، يفوح منه على امتداد الفصول الأربعة عطر

الشيخ والزعر والأكليل وشذى ثمار التين والزيتون والسفرجل والرمان، وندى شجر الدال (1) والدردار والريحان والصنوبر والبلوط والفرنان.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قرية نطل من عليائها على سهل الفريش الفسيح، الواقع بين جبل السرج



جنوبا، ومناطق سيدي حمادة وأولاد فرج وسجة شرقا، ومرتفعات الطالة

شمالا، ومنطقة أولاد زناق غربا، نشقه أودية: راس الماء - السمارة - طوير الليل - البياض سكره - الحصاص - بو عبد الله .

قرية تقع على جنوبها عين فقير، وعلى شرقها عين قصب، وعلى شمالها عين بوحافر، وعلى غربها عين الزربية، جميعها جارية بالماء العذب الزلال.

وكلما قويت رياح الجنوب أو قويت رياح الشرق تندفق من أماكن عديدة من سفح جبل السرج مياه قوية تحمل معها أعدادا كثيرة من السمك الحلي، متعدد الأنواع والأحجام مما يدل على أن هذا الجبل يحتضن في جوفه بحيرة كبرى من الماء العذب، وهو ما أكده فريق من الباحثين في التاريخ والجيولوجيا من تونس وإيطاليا زاروا عين الذهب الموجودة بجبل السرج والتي تعد أكبر الأنفاق والمغاور الطبيعية في إفريقيا.

موقع بهذه المواصفات والمناظر الطبيعية الخلابة، وسهل بهذه الموارد المائية الهائلة، من الطبيعي أن يكون موطن دائما للإنسان منذ أن وجد الإنسان بهذه الربوع، ومهدا للكثير من الحضارات المتعاقبة، وهدفا للمغيرين والغزاة والمحتلين.

فقريّة الزربية عريقة جدا، والمواقع والمعالم الأثرية القريبة منها تنتسب إلى مختلف العهود والعصور السابقة، بداية من عهد ما قبل التاريخ حيث توجد المقبرة الجماعية بالرجم، إلى إطلال وآثار المدن والقرى وقنوات جلب الماء بسكرة ودار القوسة وبئر زواغة وهنشير دار نصر ورأس وفيض عروس، والتي تحمل بصمات إنسان العهود البربرية والقرطاجية والرومانية والإسلامية. ولقد أسأل سهل الفريش لعاب سلطات الاستعمار الفرنسي وجمعية المعمرين الفرنسيين الذين بذلوا أقصى الجهود للاستيلاء عليه بدعوى عدم مسك الأهالي الوثائق ملكية.

وبسرعة تحرك البعض من أبناء الزريبة وتحولوا إلى حاضرة تونس أين افتعلوا وثيقة ملكية جماعية تفيد بأن هنشير الفريش على ملك الولي الصالح سيدي مرشد حبسه على أبنائه الذكور وضبطت وثيقة الحبس المساحة وذكرت الحدود، وبفضل هذه الوثيقة تمكنوا من حماية أراضيهم ومن منع المعمرين من امتلاك ولو شبر واحد من الأرض بالسهل رغم تنوع أساليب الضغط والقهر التي مورست ضد الأهالي.

باستثناء العمل التوثيقي القيم الذي أعده جمع من مثقفي المنطقة بإشراف الأستاذ مختار الزريبي، الذي يتمثل في شريط تلفزي يحمل عنوان "الزريبة ذاكريتي" عرض ضمن فعاليات الدورة العشرة لمهرجان الزريبة، فإنه بالرغم من أهمية قيمة وتنوع هذه المعالم والمواقع الأثرية لا تجد الاهتمام اللازم والحماية المطلوبة مما جعلها تتحول إلى مرتع وسوق سوداء لمهريين وتجار التحف الأثرية.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

I-الزريبة: الجذور والأصول

الشواهد والمعطيات والقرائن والأدلة المتوفرة تشير جليا إلى أن قرية الزريبة ذات جذور وأصول بربرية، ومن أبرز هذه الشواهد والمعطيات والقرائن والأدلة.

1-الموقع: في قلب جبل السرج وعلى ارتفاع يبلغ 700 م توجد قرية الزريبة في مكان حصين لا يمكن الدخول إليه والخروج منه إلا عبر مسلك وحيد يقع في الشمال الغربي للقرية، أمامه مباشرة قلعة طبيعية، كانت تستعمل في الماضي من قبل حراس القرية والمدافعين عليها برج مراقبة يمكن من مشاهدة ومراقبة الوافدين للقرية والعابرين لسهل الفريش من مسافات بعيدة. وبقية جهات القرية محمية من الجنوب والغرب بالجبل ومن الشرق

والشمال بمنحدرات عميقة يستحيل تستقلها أو التزول عبرها.

ويشابه هذا الموقع تماما المواقع التي تقام عليها عادة القرى البربرية.

وهذا الموقع الحصين أهل قرية الزربية بأن تكون طيلة المعركة التحريرية الملاذ الأمن للمقاومين، يرتاحون فيها من عناء العمليات القتالية والفدائية، ثم ينطلقون منها للقيام بعمليات مماثلة.

2- مواد البناء المستعملة: الحجارة في لوفا وقوتها تشبه الحديد الصلب، تستعمل مع الجير المحلي والتربة البيضاء في إقامة الأسس والجدران، والخشب والتربة الصلصالية تستعمل في تغطية سقوف البناءات، إذ تشكل عازلا مهما يحول دون تسرب مياه الأمطار والثلوج داخل الغرف. ومواد البناء هذه تشبه كثيرا مواد البناء في القرى البربرية.

3- التقاليد والعادات: جلها آتية من زمن بعيد، تسافر على متن الذاكرة الجماعية من عهد إلى عهد ومن جيل إلى جيل؟، ما زالت واضحة وجليّة خاصة في اللباس والأعراس وبعض الكلمات والتسميات.

وهي عينها التقاليد والعادات الموجودة بالقرى ذات الجذور والأصول البربرية. والأرجح بالاعتماد على بعض المعطيات المتوفرة أن الدين الإسلامي وصل إلى قرية الزربية والمناطق المجاورة لها في أواسط القرن السابع ميلادي إثناء حملة العبادلة التي بدأت سنة 27 هـ.

ومما يرجح صحة هذا الاعتقاد وجود ضريح على مشارف قرية الزربية يسمى "سيدي عبد الله" يزوره الأهالي إلى الآن ويسمونه "جدي عبد الله" قد يكون من الذين بقوا بالقرية لنشر تعاليم وقيم الدين الجديد، ووجود ضريح آخر قرب المنطقة يسمى غلى الآن "السيد" ووجود وادي يسمى "عبد الله" ومكان بالطريق الجهوية رقم 73 يسمى "زلقة كلبة السيد عبد الله" ويعتقد

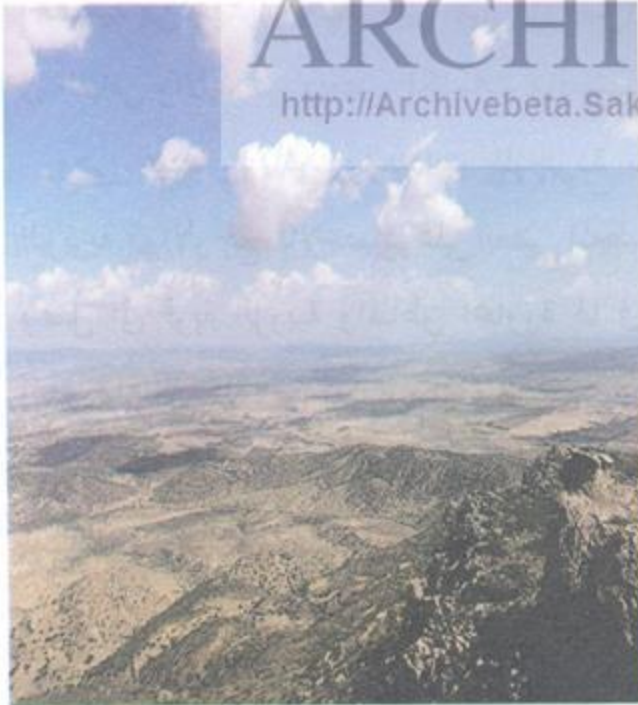
البعض أن تشكل الهلال الموجود بقمة جبل السرج هو نتيجة لاصطدام أرجل فرس السيد عبد الله بالجبل.

ولو أن بعض هذه الاعتقادات تختلط فيها الحقيقة بالأسطورة ويمتزج فيها الواقع بالخيال، فإنه عندما تختلط وتمتزج هذه الأشياء يكون للحقيقة والواقع نصيب.

ومن المعالم الإسلامية الأثرية الموجودة بقرية الزربية مسجد "الحوش اللوطي" الذي قد يكون أسس في بدايات الفتح الإسلامي وجامع "الرحبة" الذي بني في منتصف القرن الثالث عشر ميلادي.

II - الأنشطة الاقتصادية:

يقتصر النشاط الاقتصادي بالزربية على الفلاحة أساسا وعلى بعض الصناعات التحويلية التقليدية.



1- الفلاحة: تشمل

تربية النحل والماعز والبقرة
المحلي القادر على التنقل
عبر المسالك الوعرة وحماية
نفسه وأبنائه من الحيوانات
المفترسة، تربية الخيل
والبغال والحمير، وزراعة
الأشجار المثمرة كالزيتون
والتين والرمان والسفرجل
والخروب، والزراعات
السقوية بسواني الزربية

وسكرة والغرس والقناطر وزراعة الحبوب بالسهل.

وكان الفلاحون في فترات انحباس الأمطار يلتجئون إلى ما يسمى اليوم "الري التكميلي" بتحويل مياه الأودية والعيون إلى حقول الشعير والقمح عبر سواقي مازالت آثارها باقية إلى اليوم.

وسكان الزريبة كانوا يغادرون قريتهم في منتصف فصل الربيع من كل سنة ويقيمون بالمكان المعروف بالحدارة حيث يقضون بالمخيم النصف الثاني من فصل الربيع وكامل فصل الصيف والنصف الأول من فصل الخريف، فترعى مواشيهم ويحصدون الشعير والقمح ويدرسون المحصول ويخزنون جانبا منه بمطامر حفروها بالجداراة واعدوها بطريقة نحافظ على سلامة وصلوحية المخزون لسنوات طويلة، ويخفون هذه المطامر بطبقة محكمة يصعب الاهتداء إليها حتى من طرف أصحابها إلا بإتباع العلامات الموضوعة داخل الأرض والمربوطة بشواهد بادية بجبل السراج ندون بوثيقة خاصة بكل مطمور، وعندما تضع وثيقة من هذه الوثائق تضع المطمور إلى الأبد.

وفي نهاية أيام المخيم يعود سكان الزريبة إلى قريتهم مع مواشيهم ومحمّلين بالتبن وما تبقى من الحبوب.

2-الصناعات التحويلية التقليدية: بالنسبة لتحويل وعصر الزيتون توجد بالقرية نوعان من المعاصر لاستخراج الزيوت، معاصر كبرى تدار بالدواب ومعاصر صغرى تدار بيدي الإنسان، وتحتوي كل معصرة كبيرة كانت أو صغيرة على ثلاثة أجزاء، الجزء الأول تتكون من حجارة مسطحة في شكل دائرة بوضع فوقها حب الزيتون وحجارة أخرى لولبية الشكل لطحن الزيتون تسمى "القرقية" الجزء الثاني يتكون من حفرة كبيرة يعجن فيها الزيتون المطحون تسمى "المعجنة" الجزء الثالث يتكزن من حفرة صغيرة تسمى "القرنة"

يوضع بها الزيتون المعجون ليصفى فيها الزيت من المرجين والماء. وزيت هذه المنطقة من أرفع الزيوت إذ لا تتجاوز حموضته 0.025 من الخشب يصنعون نوعين من آلات الحراثة الأولى يجرها أكثر من حيوان تسمى "المحراث" تستعمل للحراثة العميقة، والثانية يجرها حيوان واحد تسمى "الشعبة" تستعمل للحراثة السطحية.

من الصوف يصنعون الجبة والبرنوس والقشايبة والوزرة والعبانة والحبل. من الحلفاء الموجودة بكثرة وبنوعية جيدة يجبل السرج يصنعون الحصر والغشى والسارية والقراية والقفة والزنبيل والحبل. من الديدس يقطعون البوص ويعدون منه الخص.

من القمح يستخرجون السميد ومن الشعير الدقيق يعدون منهما الخبز والكسكسي والمخمصة والبركوكش والعصيدة والرفيسة والملاوي والبسيصة والسفنج وهذه الأكلة الأخيرة يحرسون على إعدادها أثناء موسم جني الزيتون والزيت الجديد. -تخمرون الحليب الطازج ويستخرجون منه الزبدة التي يقع تحويلها إلى سمن رفيع.

انارة المخلات تتم بقنديل الزيت "الفدامة" وبزجاجات ومصباح الغاز. -يستعملون الخطب اليابس للطبخ والتدفئة.

وتشكل سلسلة جبال السرج وزهيلة وبرقو وبلوطة وكسرى المتلاصقة بما احتوت عليه من مناظر طبيعية خلابة المعالم والمواقع الأثرية المتنوعة الموجودة بكثرة حول هذه الجبال فضاء رحبا للسياحة البيئية والثقافية وتمثل الغابات والنباتات الموجودة بهذه الجبال مواد أولية دائمة للصناعات التقليدية والتحف التذكارية من شأنها تنويع القاعدة الاقتصادية وتوفير حاجيات سكان هذه المناطق من مواطن الرزق.

الهوامش:

1-الذال شجرة غابية بادرة من عائلة القبقيات لا توجد إلا في غابات جبل السرج وغابات جبل زغوان.

مجلة "الإتحاف"

في عيدها الخامس والعشرين

شعر : عمر الكتزاري

إتحافك ليس كإتحاف فأحذف مجروري بالكاف
إتحافك نبع في جسد يستنشق عطر الأرياف
فيسوق الريّ بلا كلل نحو الأعضاء بإنصاف
ما أحوج جسمك يا بلدي للماء الدافق و الصّافي
للحن الزّاجل يطرببه للصوت الطّائفي و الدّافي
إتحافك أخرج منزلتي من صمت أثقل أوصافي
فإذا بالبحر مساحته تمتد لتوهن مجدافي
و إذا بالقول له نغم ما آنس مثله أسلافي
ما جاءك يوما مغترب وأجبت سؤاله بالنّافي
أو قارب متنك مقتدر إلا جازاك بأضعاف
لقد قدّ "يبيلك" من ذهب ما عدّ علامة إستراف

امرأة تنام على سرير التناثي



شعر: صالح الطرابلسي

خريير الماء في عدوة النهر،

خطاها حين تأتي.

عروس الخصب تشدو...

على وقع مبسمها،

وغيم الهوى في

رمش عينيها...
ARCHIVE

يهطل سحرا! <http://Archivebeta.sanrit.com>

في البؤىء بحر حبها

العذري!...

أيها القلب تفتح

واغترف من وجهه

عشقا!...

في خفرها خجل...

وتعاوِذِ اشتِهَاءِ،
وللهِدينِ خَفَقَ يَعْرِفُ لَحْنِ
صَبَا عَابِقٍ بِالصَّبَابَةِ،
عَلَى وَجَنَّتِيهَا شَفَقَ...
مَنْ جَلَنَازِ مَضْمَخٍ بِعَطْرِ
الْفَجْرِ...

وَالصَّوْتِ حِينَ تَحَادَثْكَ،
فِي صَوْتِهَا تَرَانِيمِ رَبَابِهِ!
وَالضَّفَائِرِ لَيْلِ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يَا رَاحِلًا فِي دِيَا جِيرِ ظَلَامِهِ،

مَتَلَبَّسًا بِهَيَامِ:

لَا تَبْتَسِ فَعَلَى جَبِينِهَا اللَّأْلَاءِ،

سَتَدْرِكُ فَجْرَهُ وَصَبَاحَهُ!

طَالَ تَمَنُّعُكَ...

يَا امْرَأَةَ جَسَدِهَا فَيْضِ،

مَنْ عَبِيرِ الرُّوحِ!...

والعاشق،
قد فاض تولّيه فهم
مرتحلا في السّفر،،

مرّ على جبل...
أفصح له عن سرّ بركانه، فراح
يبحث لك فيه عن وردة حمراء،

تشتعل بالريّح
وبالمطر!...

عسى تستردّين سفر التّداي

وتعود للأرض المضرجة

بسواد أحزانها،

مراسم الكرامة والإباء

وأريجك...

في شوارع الحارات سوف

ينتشر مشوبا بسحرك العطر!...

مرّت به شمس تضيع

بشهوتك.

قطف لك من ثمارها،

ومضات فوزعها على

الظّامئين...

أقاموا لك مظاهرة من زهور

مدرّعة بفصول القيامة!...

تندلع القيامة...

محمّلة بريح تريح

عن هام هذي الجبال ستائر

هذا الضباب السّميك...

<http://Archivebeta.Sakhrj.com>

يطهر زيفها من حقيقتها!...

تظهر...

في كبرياء شهامتها متوّجة

بالشّموخ!

قادم...

من نقطة في الأزل!...

راحل إلى شعلة

في عيون الأبد!
لسوف أمضي وحيدا في
منافي هذي المدائن...
كي أزيل عن الرّوح أدران هذا
الجسد!

لكم آخيت بيني،
وبين هذه الأرض
فأجّجني ثراها بشهوته.
أيتها المرأة التي لا تزال

تجحد بالتّداني،
ARCHIVE
<http://Archivebea.Sakhrit.com>
خذي

إلى بحر عينيك،
في مدّه أمضي،
حرّية وحرارة!...
من عمقه أجتني
أغلى لآله، فأصوغها
قصيدي عقد محار...
ومرجان!

هنا باب للنهار! ...
سأفتحه كلّ صباح،
على قلبك الدّامي ...
وأفتحه على دنيا،
قد غيّرت ثوبها:
أبادلها الصّراع ...

فتصفعني لأزداد بك صحوا

على الثّرى دمك يسبح، فأصبح ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>
أصبح ... أصبح ...

آيتها العبارة خذيني بعيدا
عن ذلك القرش
المستهام بالنّهم! ...
وهذا اللّيل الذي يأبى إلّا أن
يجور! ...
هلمّي بنا ...

نزوح دياجيرہ عَنّا
ومن ومض أنجَمك...
نخيط الفجر مبتسما،
يضع بالهوى الظّامىء
شوقا!...

هذا المدى ينتشي

بحرقة!...

وهذا الشّرى، نشر

ARCHIVE
بذور الصّبح فيه،

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لكي تنبت في ذات ربيع،

كتائب من حمام!...

وحيدة...

تلك الغمامه التي

تقع

في فضائها الرّحب،

ملتحفة دكانتها!...

مليئا بكلّ أشواق...!

سأصعد إلى ملكوتها:

أذيب في مائها نيران

حلولي!...

وفي ذات غد...

سوف أعود قطرة



ARCHIVE

تلثم وجه الثرى فجرا!...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ينهض الصّحو في

كلّ ذي نسمة حيّة...

تنتشي الفراشات رياء...

ترقص على نسيمات الصّبا مع الأرض

احتفاء بعودة الخصب!

الموعد

شعر : أمال سفطة

دقت هنا ساعة الموعد

قلبي قبلها دق ثمت

راكضا من بعيد



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وعروقي

بلا ريق

كبة كهربائية ملبدة ...

لأسمع دقك توا !

لترجع لي دقائق الهشة!

... أوف ! ها أنت ذا !

وها أنذي تاج ديك

فوق أعلى جبل !!!

سبحانك إلهي في مغنطة

روح التين بسرّ القمر !...!

حبيبي،

جرثومي،

يا... يا ستوتي
ARCHIVE
<http://Archiveeta.Sakhrit.com>
يا مسمامي

وستمي

متى ستأتي جنازتي

وتجعل ذراعك

لضياحك مني

وسادة.. أودع من ريش النعام.

كلمات لا تموت

شعر: مختار المومني

لكل واحد منّا قصيدته، حتى الآخرس
السماء للشعراء، والأرض للمفكرين والفلاسفة.
'الكلمات زرع يزرعه القلم وتحصده العيون والشفاه.
'يئذ الفلاح بمحراثه حبّا، ويئذ الكاتب بقلمه كلمات. يؤكل
الحبّ وتبقى الكلمات.
الخيال فسحة العقل
بعضنا يقول ما يعرف وبعضنا الآخر يقول ما يفكر فيه.
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>
إذا أردت أ، يفهمك الصمّ فتكلم بصوت واطيء.
تبّا لعصر يفكر أهله بأجسادهم ولا يفكرون بعقولهم.
الحلم نصف الحقيقة.
الحقيقة المطلقة من يملكها؟!
أحياناً يكون الحلم حقيقة.
ما أبشع أن يكون الحلم حبلاً فيه مشنقة لك.
ياله من عبقرى! رأسه فارغ وجيبه مليء بالأفكار.
مرة واحدة خان قلمه، لكنه انتحر.

جمع الأحباب

شعر: محمد صفر

طال الغياب...

انقطع الجواب...

ما بات يفيد العتاب..

عشر سنوات خلت..



ARCHIVE

http://Archivebeta.sakhril.com

عمران...

لكنه...

خلاء.

أذكر حين التقينا ذات مساء..

رأيت ما عرفته

ثم سرعان ما...

هفّ قلبي..

جرجري..

رصّني حذوه..

اهتزت الأرض،

وربت..

أبشر،

إنه الغيث..

اخضوضب القحط..

استعمر الخلاء..

استعذب اللقاء...

استوى العشق..

هام الحب..

وكان البناء...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إلى حد البكاء..

وداعا..

وداعا..

أيها العذاب..

بلا رجعة..

فقد أوصد الباب...

دونك.

بعد جمع.. الأحباب...

المسافر الغريب

بقلم : الأستاذ محمد بن علي

"المسافر الغريب أسطورة قديمة خلقت قبل أن تخلق الأساطير... نسيها التاريخ فتلاشت في طياته، وأهملها الزمان فضاعت في أبعاده... ولكني وجدتها ذات مساء تسري في دمي وتعربد في متاهات عروق... فأيقنت أنني أدركت المحال"

الأسى والدموع غيمان في عين الغريب يطفوان على صفحة وجهه القائمة ويتسريان إلى قلبه الحزين... والذكريات في فؤاد المسافر طريق إلى الضياع في متاهات الزمان... في أحضان اللاشيء... في مجاهل العدم السحيقة... ولم يدر أنه كان يسير وحيدا في الطريق الجافة المقفرة يكتنفه النسيان ويجرفه في عناد وكبرياء... ودابته الهزيلة تجرح صمت المساء بخطواتها الواهنة الضعيفة... وكان يجاهد منذ زمن طويل وكأن كيانه يرزح تحت يأس قاتم... وعانقت عيناه همس المدى في الطريق الطويل الذي يتلوى ويضيع بين انحناءات الروابي والتلال ، وكأنهما تريدان أن تقولوا شيئا... أن تحكيا عن شيء ولكنهما لا تستطيعان... وشعر

بوهج الرمال المحرقة وبشدة الحرّ اللعين الذي أخذ يلفح صفحة وجهه السمراء ويعصف بكيانه المتعب فيتدفق العرق ويتصبّب من جبينه... ويجرفه النسيان نحو جزر بعيدة غريبة... وامتألت عيناه بدموع الصّدق... صدق أوساع الفراغ الذي لا حدّ له... صدق الشمس تحفز رأسه بأشعتها الناريّة المحرقة في عنف وقسوة... فتصاعد من حنجرتة الجافة حشرات يائسة يقضى عليها قبل أن تصل إلى شفّيته... وتمنى حينئذ لو كانت له قدرة فيتحلّص بذلك من هذا اليأس القاتم الذي تفاقم إلى حدّ يعيد... ولكنه يعرف جيّدا أنّه فقد هذه الإرادة منذ عهد بعيد... وأخذ يراقب السراب المتموّج في الأفق بحيوته الفضية الباهتة المتشابكة مما جعله يتساءل في حيرة: "هل أنّ السراب وهم صنعه خياله المتعب أم هو شيء آخر؟" ... ولكنه يعتقد أنّ تفكيره غير متعب، وأنّه قادر على أن يحافظ على صفاء تفكيره وقد قالوا له أن المسافرين قد سرقوا للوهاد وزرعوا مكانه اليأس المرير... ولكن السراب حقيقة ماثلة امام عينه. وتساءل: "ل أن الحقيقة إطار جاف شائك... وإذا كان الأمر كذلك فما جدوى الصبر عند عابر السبيل..." وشعر حينئذ بدافع غريب يجعله يحبّ السراب ويعطف عليه، ولم لا يحبه،

وهو يقاسمه وحدته. ويبدد حيرته ويحكى له في حنان عن سفينة الأمل
وشاطئ المستحيل فتسكب الذكريات في فؤاده في غيبوبة حسية
وتخدر أعصابه بشيء من الحسرة والألم ... وتساءل في حيرة من
جديد: "ولكن السراب وهم والوهم محال؟" ودّ لو أنّه لم يصل إلى
هذه الحقيقة القاسية... وشعر بصداخ الخيبة يحفر رأسه في عنف
شديد... ودابته تحصد ما تبقى من صبرها وتلهث تحت حملها
الثقل... إنها تحمل خيمته البالية مع بعض الأوتاد القليلة... وتسافر
في أرض الله الواسعة... وأحسّ نحوها ببعض العطف والحنان... إنها
لم تذق ما يسدّ الرمق منذ الأمس... ولعلّها تبتغي الثواب من
صومها هذا اليوم أيضاً... أمّا هو فسيجد بعد حين في قطعة خبز
جافة مائدة فاخرة تنسيه حقيقة أمره... وعندها جمد المساء في
الأفق واصطبغت الرمال بحمرة قائمة مثل نجيع الدم، تضع فيها
مراكب الصمت الحزينة باحثة عن شاطئ الأمل... وظلّ يدأب في
سيره البطيء أشعث أغبر يلفحه وهج الرمال... والظمأ يضغط على
عنقه ويحرق مهجته ويجعل بطنه تتأجج كالأتون وتغلي كفوّهة
البركان فتتصاعد الحرارة وتلفح حنجرته الجافة وحلقه وشفتيه...
ولم يصبر على هذا العذاب فلجأ على آنية فيها بعض قطرات سخنة

أفرغها في جوفه... وأحسّ من جديد أنّه قادر على أن يمزّق ألف
 حذاء على طريق الوهم على الرغم من الألم الشديد الذي يعصف
 برجليه... وشعر ببعض العطف على حذائه البالي... وأثر في نفسه
 مشهد الغروب الآخرس فتأهّب لاستقبال الليل وقد أخذت الظلمة
 تطبق على الكائنات وتقسو على المرئيات فتغرقها في فراغ مبهم...
 وبعد طول مشقة تمكن من إزاحة الحمل الثقيل عن الدابة البائسة
 وتركها تخطو بضع خطوات جانبية وتستلقي كالمتة أو كشيء
 الميتة... ولم يكلف جهد النظر إليها لأنه تيقن أن العطف والحنان لا
 يجديانها نفعا... وركز اهتمامه لأول مرة على رجليه
 المتحجرتين... ونزع حذائه بعد حين واستشعر نار الألم التي بدئت
 تحرق رجليه وأحسّ بها تلفح كامل جسده... ولبت برهة صامتا
 جامدا ثم تراخى في إعياء شديد واستلقى على الرمال واضعا رأسه
 فوق الحمل، ورفع عينيه إلى السماء... لقد كانت الظلمة شديدة
 قاسية تضيع فيها الأشباح والأوهام ويلفها صمت مكين... وهذه
 النجوم تتناثر... إنها كائنات غريبة لها خفقان الحنين عندما ينام على
 روابي الجبال في الشتاء ويجتر أحلام الربيع... واستجمع بعد
 جهدشات أفكاره وحقق في النجوم بإمعان وتمنى لو كانت في يده

واحدة منها، نعم نجمة صغيرة، نورها ابيض مشوب بصفرة،
وأشعتها دقيقة، ناعمة، حانية تحتق صدره وتحنو على فآده الجريح
... إنه يريد أن يحكي لها أتعابه وآله ويلقى عليها بحسده المعذب
ليقول لها إنه مسافر متعب، وتمنى أن يضم هذه الجوهرة الغريبة بين
اصابع يده المعروقة الشاحبة وأن يشعر بلهبها المحرق يألم يده ويترك
فيها جرحا لا يندمل، ونظر إلى النجمة وإلى الجرح العميق في يده
فلم يجد سوى قطعة خبز جافة متحجرة نسي منذ لحظة أنه وضعها
في يده ليقفل بها ألم الجوع... ولم يبد الآن رغبة للإتيان عليها ذلك
لأنه أدرك لأول مرة أنه ذلك المسافر الغريب الذي حدثته عنها
أسطورة قديمة وتساءل في غرابة كيف أمكن أن يكتشف هذه
الحقيقة المرة...

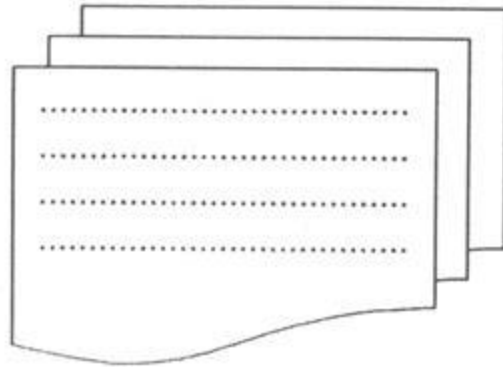
وتمنى حينئذ لو أن الخواطر سفن من الظنون تتمزق اشرعتها
وترتطم بصخور الجنون...وعندها يتخلص من ذاته ويدرك
حدود الوهم...هذه الحدود التي من أجلها يلقي عصا الترحال ويشق
فيافي الليل باحثا عن الفجر المستحيل... فيستسلم لريح لينة
رفيقة...ومجذافه الناعس يحتضن البحر ويعب المدى فياحتويه
الضباب والماء... إنه يريد أن يكون سندبادا آخر قد أسلم أشرعته

للرياح والعواصف منذ ألفي قرن وباع زورقه للرياح والعواصف
منذ ألف قرن وباع زورقه للمغامرات والمخاطر... وظلت هواجس
الأم تطوح بالمتعب وتجرده من الإحساس... وأدرك آنذاك أن
هذان الأمان يقضي على فيض المشاعر ويميت
الإحساس... والصمت حوله شراع ممزق يطفو على صفحة البحر
بعد سكون العاصمة... كان في روحه شيء صاغه الصمت
الملل... والظلمة تمتد إلى الأفق، وكأنها أسرار رهيبة تراق في جمود
الليل الراكد... وثمني لو أنه شاهد أشعة القمر الشاحبة في آخر
الليل... ولكنه يعرف أنه غير قادر على الانتظار... ويعرف أيضا
وصاة الظلام الصامت شيء فوق الاحتمال... ولم يعد يرى أثرا
لحذائه الذي وضعه غير بعيد منه، ومد يده يتحسس الرمال ويبحث
عنه... حذاؤه... لعل حشرة بائسة قصده واتخذته مأوى
لها... لعلها طوت مسافات كبيرة وأجهدتها السير الشاق قبل أن
تصل إليه... وأيقن لأول مرة أن أوساع الوجود هو ذاك الحذاء
الممزق وأنه تلك الحشرة... وأخذته صورة الجفاف بتحت تفكيره من
جديد... إنه يعرف جيدا رائحة الجفاف الخائفة... فالأرض كالسما
شاحبة تخنق أنفاسها المكبودة العواصف الرملية المحرقة وتزرع فيها
الشمس أشجار القحط والعراء... فيجني هو ثمار اليأس
والخيبة... وجيرانه يلقون عصا الترحال ويحدثونه قبل الرحيل عن

أرض الله الطيبة... هناك حيث التلال المخضرة والهضاب المعشوشبة التي تغطي ربوعها السنابل الذهبية... تحت شمس الصيف الدافئة هناك رحمة كثيرة تتهاطل من سماء مشرقة تسقي جنات الأرض فتزهر الأماني ويعبق الأريج من مزارع الشذى... ومع ذلك لم تكن عنده رغبة في اللحاق بجيرانه الذين تركوا ديارهم وتنكروا لها... ويمعموا هذه الأراضي الغنية التي تهمى فيها أمطار الرحمة... وكان ذاهلاً يكاد اليأس يخنقه والصمت الرهيب يمزق أحشائه في حزن عميق... وشيء مبهم يشده إلى كوخه الحقيق وإلى حديقته الصغيرة وقد عاثت يد الجفاف فيها... وبدأت صلته بما حوله تتلاشى تدريجياً... ولم يكن يدري أنه قطع مسافات شاسعة قبل أن يلقي الليل وشاحه القاتم على أرجاء الصحراء... وورنا إلى النجمة الزهراء... إنها فاتنة إلى حد الإغراء وأخذ يتابعها ببصره الكليل ولكنها بدأت تتقلص... وأرخص رأسه... وأخذ يحلم بالنجمة الذهبية التي ضاعت قبل أن يودعها... ولم يدري أنها ذرة صغيرة يخلق بها شعاع اخضر في متاهات اللانهاية... وتذكر البلد الخصب حيث أشجار النخيل... إنه يرى هذه الأشجار بعين الخيال ويشتم أنفاسها الممزوجة برائحة الليل... وغمامات العطر الوردية تطل بالندى وبالذكريات والأحلام الجميلة... وتساءل عن القمر... وبحث عنه طويلاً فلم يجده ولو وجدته لغير به بحرى

القدر... وفترت أعصابه وتمزقت خواطره فإذا هو وهم وضياع...
 وأطل الصباح يمسح الظلمات الراكدة... وأطلت الشمس فحدق
 فيها طويلا فتمنى لو أنه يركب الريح ليحترق بنارها... وتمنى لو أن
 الشمس تهوي وترسب في أعماق المحيط... كما ترسب في دمه
 الذكرى... وبدأ الصراع من جديد... فإذا هي بداية الرحلة من
 جديد... وهذه الطريق جافة ناحلة تمتد في العراء وهو يمضي فيها
 تحت قدر محتوم وشقت الشمس كبد السماء وتوهجت أشعتها
 المحرقة وكأنها من ويل جهنم... وبدأ الاختناق يتسرب إليه... وأيقن
 أنذاك انه قصة حقيرة رسمتها الأيام على سعف النخيل فكلما
 حركتها الرياح مضت بعيد المأساة الحزينة... والشمس دوما في
 صعود تنفث من السماء نارا ذوبا من جديد... والدابة تعرج في
 سيرها البطيء وتكاد تسقط... والألم يكتسح رجليه وهو ما زال
 يدأب في سيره البطيء... وتراقص السراب في الأفق، خيوطه تغلي
 غليان الرصاص وأنفاسه تلهث كمن اصطلي بنار... ورأى عبر
 السراب سنابل ذهبية تتموج كالخمائل الساحرة... كألوان
 الاصيل... وحدق في السنابل... كانت حبّاها صفراء... جذوعها
 خضراء... ومن هذه الخضرة تتدفق دماء حارة كحنين الشريد...
 كليالي الدفء عندما يطلّ القمر من شرفات السحاب ويكي
 الشوق على أعتاب الأبواب... ومدّ بصره وحدق في السنابل

الذهبية الدامية ولم يدر أن الدم... دمه... وقد بدأ يتدفق من بين شفتيه كرهاذ الخريف ويترك رسوما حمراء على الرمال... وتناوبت أعماقه وأطلقت صيحة سوداء كالوحدل... وأحس أن الموت أخذ يحدق فيه بعين الدهر التي لا تحون وتذكر من كان مثله مسافرا في فيافي الصحراء... في هذا الامتداد السرمدي... في مثل هذه الآفاق المجهولة... وأشفق على الدابة من الضياع عندما ينتهي أمره. ولو أدركت أنه ضحية الجفاف لفهمت ولذهبت دون أن تلتفت إليه... وابتعدت الدابة وتماوى كالدمعة من جفن المحزون... وتدفق الدمحارا عنيفا من شفتيه... وشعر بالأسف لأنه لم يودع دابته الوحيدة... ولم يدر أنها نهاية المطاف... وأنه كان يحتضر على قارعة الطريق... وبالعلم... بالسنايل... الذهبية... وبالربى الضاحكة... وبالصباح الجديد... وتلاشت دابته وضاعت في امتداد الأفق... غلى أين تذهب ؟ ... إنه لا يدري... وتمنى لو أنها انتظرتة حتى ينتهي من الاحتضار لأنها تعرف أن الموت وفاء بالوعد...



أحوال

قصة: بهيجة الدلاي

أيّ شرّ؟ أيّ إثم اقترفته في حياتي حتى يتليني الله بولد مثله
كعقاب لي في الدّنيا قبل الآخرة؟ يا لحظّي العاثر من دون خلق
الله... تعالوا معي نجوب القرية وندخل بيوتها بيتا بيتا وإن وجدتم
شابا في مثل سنّه نائما إلى هذه الساعة عاقبوني... ابصقوا في
وجهه... ارحموني حتى... لا... تبولوا على جسدي بعدما
تضرحوني أرضا... عندما كنت في سنّه ترك أيّ في كفالي ثمانية
أنفار وانتقل إلى الرّفيق الأعلى... كنت أعمل ستّة عشر ساعة
يوميّا لأوفر لهم اللّقمة... اشتغلت في الحقول... في البناء... في
المطاعم... في ترميم الطرقات لا توجد مهنة على وجه الأرض إلّا
ولي فيها تجربة... لكن صحيح مثلما يقولون النار تخلف الرماد...
آه... أنا الذي ساعداني لا يعرفان الكلل والملل برز أيّ الله باني لا
يوجد في الكون كلّ من يضاهيه في الكسل والنوم والأكل
والتدخين.

هذا الكلام المليء بالغضب والعتاب واللوم نسمعه كشريط مسجل كل صباح من العمّ خلف وهو يزرع صحن الدار جيئة وذهابا يخاطب زوجته وبناته الثلاث منتقدا ابنه حامد قبل أن يخرج إلى متجره الصغير المتواضع جدًا أحيانا يجتاز عتبة الباب ويخطو خطوتين أو ثلاث ثم يعود باصقا حينًا متمحظًا أحيانا ليكمل لازمته التي اعتادها كل مطلع يوم ويأمر زوجته في حماسة وغضب:

أيقظيه... قولي له أنت بلا قلب... مجرد من كلّ طموح أنت لست رجلا... قولي له أنت بلا حمار (وفي سخرية) حمار؟ حمار؟ لا الحمار أحسن منه... على الأقل مفيد يقوم بخدمات كثيرة أما هو فلا فائدة تجني من ورائه... قولي له اهض واسأل كل من يجاورونا عن أندادك وأترابك أين هم الآن؟... كلّهم خرجوا إلى أعمالهم ووظائفهم... كلّهم يساعدون ذويهم برواتبهم آه يا للنحس الذي يتربّص بي طول حياتي... آلاف المرات اقترحت عليه مئات الأعمال وامهن لكن نصائحي كلّها ذهبت أدراج الرياح... ملايين مثله لم يسعفهم الحظ في المناظرات للانخراط في الوظائف الحكومية ذهبوا يشتغلون في المعامل والمصانع!...

من عادة أمّ حامد أن تبتلع معارضتها لزوجتها... يضيق صدرها من

هجومه ولا ينطلق لسانها أبداً لكن هذا الصباح خاص بها الكيل
وبلغ القلب الحنجرة ولم تعد تتحمل هجوم زوجها القاسي...
التفتت إليه وقد ضربت صدرها في صرخة احتجاج:

-ابني أنا بعد سنوات طويلة من التعليم وتعبه وكده واجتيازه
لمصاعب الامتحانات ونيله كل الشهائد تريده أن ينخرط في عمل
لا يناسب مؤهلاته؟ ماذا جرى في الدنيا يا إلهي (ويختنق صوتها
وهي تحبس عبرتها) كم رأيته في أحلام يقظتي يعتلي أرقى
المناصب في إحدى الوزارات أو أستاذا يزود النشء بالعلم
والمعرفة. أكثير علي يا رب أن أرى ابني في منصب مشرف؟
يقاطعها خلف وقد زاد تقطيب جبينه العريض واتساع منخري أنفه
الضخم.

- نوحى.. نوحى وعددي.. أنت التي أفسدته بعطفك عليه
وحنانك المفرط لو تركته بلا أكل وبلا سحائر سيضطّر للخروج
والبحث عن شغل ليعيل نفسه على الأقل أنا الحمد لله لست
محتاجا لنقوده، مادامت صحي على ما يرام أقتل المليم حتى من
الصخر.

وهنا تكلمت أم حامد:

- بنيته الضعيفة وصحته لا تسمح له بممارسة الأعمال المضنية،
الوظيفة المناسبة له التعليم أو موظف في مكتب بإحدى
المؤسسات وهذا ما يطمح هو إليه...

- وما لها صحته؟ كفاك يا امرأة من التعليقات والتبريرات الواهية
والتماس الأعذار له، علة ابنك الخمول، الكسل، والنوم، لو
نفض باكرا وتحرك قليلا وعمل سترين كم سيصبح نشيطا،
الأعمال المضنية رياضة للجسم إلى هذه اللحظة من عمري لم
أدخل عيادة طبيب ليكشف عليّ، أتدريين لماذا؟ لأني أعمل مثل
بغل... ثم أشعل سيجارة أخرى وأخذ منها نفسا طويلا ليجذبها
بعد ذلك من بين شفثيه الغليظتين الداكن لوفهما فيتبعثر الدخان
في الأرجاء ويواصل) تقولين بأنه يطمح أن يصبح بين عشية
وضحاها أستاذا بأحد المعاهد (وفي سخرية) هكذا بكل
سهولة... أنت في عبيرية تامة عن واقعنا وحاضرنا ومازالت
تحلمين بالزمن الجميل يوم كان الطالب يتعين فور تخرجه.... لا
يا للآ في يومنا هذا فرص العمل ضئيلة والدخول إلى سلك
التعليم وتعيينه أستاذا أصبح بالمناظرة وهذه رابع أو خامس مرة
يجري ابنك المناظرة ويرفض من قبل اللجان المختصة لذا شهادة

الأستاذية الحاصل عليها في مادة التاريخ قولي لابنك (يبلّها

ويشرب ماءها)...

وهنا زاد غضب أمّ حامد وغلت الدماء في رأسها فاندفعت

الصّرخات من حلقها حتى نفرت كل عروقها ورأت أن تسلق

زوجها بلسان حادّ:

- كفاك حدّة مع الولد يا عديم الحنان والرّحمة كلامك هذا زاد في

إحباطه، به حطّمت معنوياتها و..... طموحه لماذا تقسو عليه،

ألا يكفيه ما هو فيه... ألا تعرف الصّبر يا رجل.... سترى

سيوظف ابني بمشيئة الله ومساعدة السيدة التي تشتغل عندها

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(هنية) ابنة حتى فقد وعدّها بأنّها سوف تتوسط له في وظيفة لأن

لها قدم صدق وخير عند بعض الوجهاء الذين يحتلون مراكز لا

بأس بها وكلمتهم هي العليا والله وعدتنا وأقسمت في يمينها بأن

لا تتوانى في مساعدتنا وهذه السيدة حسبما حدثتني عنها ابنة

أختي إنسانة خدومة وطّيّة وتقّيّة لا يأتيها الباطل من بين يديها

ولا من خلفها فقط المسكينة طلبت مبلغا من المال كهديّة

نقدّمها معبرين عن شكرنا وامتناننا لمن سيسعى لابننا في الحصول

على عمل فالذي يسعى لا بد أن يجزي الجزاء الأوفى.

وقاطعها خلف ساخرا:

- مبلغ من المال كهدية بسيطة!
- أي نعم ولم لا كل إنسان يجزى بما يسعى ويقال بأن المسائل المستعصية أمام الهدايا تصبح مرنة.
- إذا لديك مال قدميه (تشاء الله على يدك نحجو)
- دع الأمر لي ولا تشغل بالك بعت خلخالتي واسورتي الأسبوع الفارط وسلمتها المبلغ...
- وهنا زاد اشتعال فتيل غضب خلف... فأدار لها ظهره متّجها نحو الباب وهو يعض أنامله من الغيظ:
- والله لو بعت نفسك حتى، ابنك فاشل... ابنك ليس فارغ وكما يقولون الكيس الفارغ لا ينتصب ولو فعلنا المستحيل...
- قذف خلف حممه كالبركان الثائر في وجه زوجته وخرج لتركها تنتحب في صمت وتمتم:
- ابني ليس بفاشل وإنما يحتاج إلى فرصة لإثبات وجوده وجدارته وتحقيق ما يصبو إليه.

لازمة التي تتكرر يوميا يسمعها حامد كلّ صباح وهو ممدّد في فراشه، حالة من الاغتراب واليأس استولت عليه وجعلته ملازما

لحجرته لا يفارقها إلا للضرورة القصوى... لا يتكلم... لا يسأل... ولا يرد... لكن في أغواره ثورة من الغضب تصطحب وتضطرم. إلى متى سيتحمل هجوم أبيه عليه وكل المحيطين به من الأقارب... الكل ينتقدونه ويتحاملون عليه عدا أمه... يتهمونهم بالسلبية والتقصير معتقدين أن هجومهم هذا سيوقف فيه روح العمل والجدد لكن ما جرى هو العكس فتجاهلهم لم يزد إلا إحباطا... وما يغضه أكثر مقارناتهم له بآترابه... لیتهم يكفون عن هذه المقارنات الركيكة ومحاسبتهم له في كل يوم... لیتهم يدركون كم طحن كلامهم أعصابه وامتص البقية الباقية من حيويته... ما بالهم؟ أیظنون أنه راض بحن نفسه وعن حالته أم يحسبونه جذلان يهزه الطرب عندما يمد يده إلى أمه لتجود عليه بملايم ثمن السيجارة؟! أو هو غير واع بما يدور حوالبه! من الرجل الذي لا يريد أن يثبت وجوده ويكون فردا حالما في مجتمعه ويساهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. أبوه ينحي عليه باللائمة لماذا لا يمارس أي مهنة ولو متواضعة للحصول على مصروفة الخاص على الأقل بدل النوم وضياح الوقت. من قال أنه لم يحاول؟ حتى هذه المهن استعصت عليه هي الأخرى وغدت غير متوفرة... ما العمل! أبواب الشغل موحدة في وجهه أينما يوليه وأبوه ضاق ذرعا بملازمته غرفته طول الوقت... أين سيتجه إلى أين المفر؟ وإلى أين الهروب! لو بيده لهاجر إلى أبعد نقطة في الأرض... إلى أقصى بقاع الدنيا علّة يجد سعة ويستريح من هجمات أبيه الصباحية حتى أمه

المسكينة أصبحت تتعرض للمضايقات من أبيه بسببه وآخرها هذا الصباح ليته يجد مخرجاً أو حلاً يغيّر الأحوال. سرح حامد بخواطره يفكر ويفكر ويتقلب في فراشه ذات اليمين وذات الشمال وأمه في فناء الدار تنتحب في صمت بعد خروج خلف ويتهل إلى الله أن لا يذهب ثمن الخلخال والأسورة سدى.

العمر يجري والأيام تمرّ على حامد حالكة مصحوبة بسوء الطالع والحال في سيره نحو الأسوأ... هجوم أبيه لم ينقطع يوماً والأرض ضاقت عليه بما رحبت إلى أن ولجت أمه حجرته ذات صباح كعادتها حاملة صينية الإفطار فلم تجده كما تعودت فرحت الأم وعندما أخبرت خلف قهّللت أساريه... أكيد ابنهما استيقظ من ركوده وجموده وخرج بيتغي فضلاً من الله... أتكون السيدة أوصلت المبلغ ووقت بوعدها ودعته لاستلام الوظيفة وتكتّم هو على الخير فهو بطبعه قليل الكلام؟ نظرا الأبوان إلى بعضهما وتنفسا الصعداء... انشרכת نفسيهما وامتألت بالأمان العذبة.

بعد وقت قصير سمعا جلبة ووقع أقدام وأزيز سيارة ونباح الكلب والكلّ قادم نحو بيتهما فخرجا يستطلعان الأمر فإذا بهما أمام عوني شرطة وجمع من الناس جاؤوا يحملون إليهما نبأ عثورهم على حامد جثة هامدة تتدلى من شجرة ليست بعيدة عنهما والبحث عن سبب موته جاري...